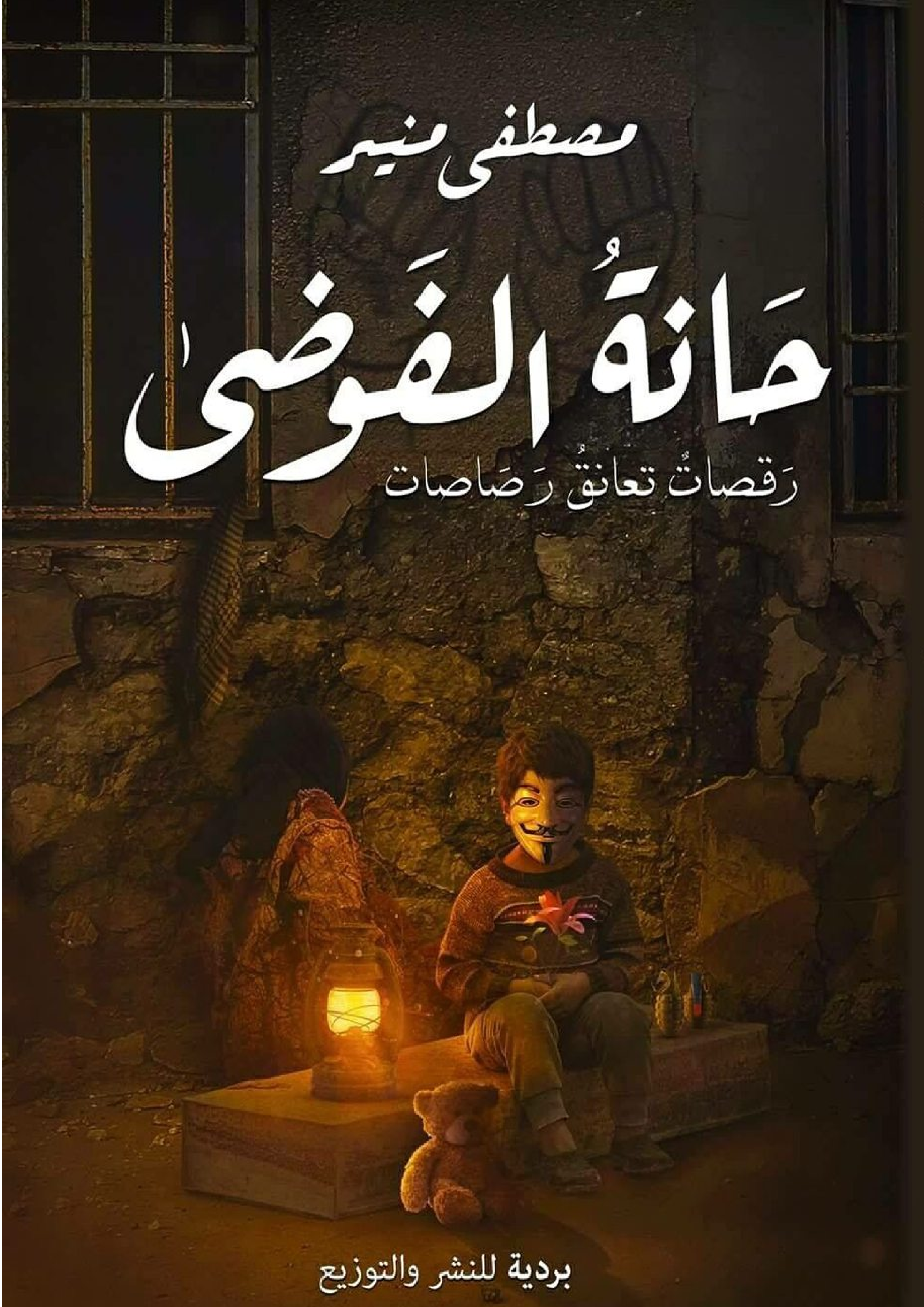
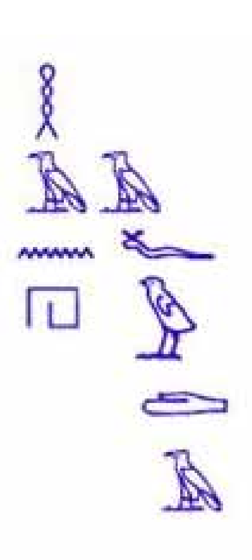


مصطفى منير
حَانَةُ الفَوضَى
رَقصاتٌ تعانِقُ رَصَاصات
بردية للنشر والتوزيع


ساحر الكتب


ساحر الكتب


الأعمال الكاملة
t.me/kotbhm



حانة الفوضى

مصطفى منير

حانة الفوضى

بردية للنّشر والتوزيع

٢٠١٧

الإهداء

إلى كلّ فقيرٍ؛ الصبرُ رفيقُ دربِك..

إلى كلّ ثورةٍ؛ الفقرُ يجهلُ بشائرَ نصرِك...

إلى كلّ فوضوي؛ الثّورةُ سيجار صباحاتِك..

إلى كلّ عاشقٍ؛ الفوضى وقودُ قلبِك.

«إلى كلّ وطنٍ؛القلمُ هو صبرُ ورفيقُ وفقرُ وثورةُ ونصرُ وسيجار وفوضى وعِشقُ ووقودُ أنصارِ قضاياك».

«مُصطفى مُنير»

تقديم

مـع تغـيّر وجـه المجتمـع الغـربي في الفـترة التـي تلـت الثّـورة الصّناعيـة في «أوروبـا» عامـة – و«إنجلـترا» خاصـة مـع بدايـة القـرن الثّامـن عـشر، ومـع ظهـور الطّبقـة الوسـطى المتعلّمـة في ذلـك الوقـت، ظهـرت الحاجـة لجنسٍ أدبيّ جديـد يفـي باحتياجـات هـذا العـصر الوليـد، ويشـبع نهـم القـراءة لـدى أبنـاء هـذه الطّبقـة.

ومـن هنـا بـزغ نجـم الرّوايـة التـي بـدأت بشـكلٍ متواضـع، ثـمّ مـا لبثـت أن تفوّقـت في مكانتهـا وإمكاناتهـا عـلى الأجنـاس الأدبيـة الرّاسـخة مثـل الشّـعر والمـسرح، ثـمّ انتـشرت في كافّـة أنحـاء العـالم وفي عالمنـا العـربي النّاطـق بلغـة الضّـاد. ولأنّنـا نشـهد في عصرنـا الحـالي ثورة تكنولوجيـة لا تقـلّ في أهميّتهـا وشـدّة تأثيرهـا عـن الثّـورة الصّناعيـة، انعكـس ذلـك بالـضّرورة عـلى الأدب؛ تقنياتـه، وموضوعاتـه، بـل وأجناسـه المتداولـة.

مـع بدايـة ظهـور وسـائل التواصـل الاجتماعـي مثـل «الفيسـبوك» و»تويـتر» وانتشـارها بـين الشّـباب، ظهـرت

الحاجة للّغة جديدة وأجناس أدبية جديدة، كان يجب تبعًا لقواعد هذه الوسائل والمواقع أن تحدث ثورة في اللّغة لا تقل في شدّتها وتأثيرها عن الثّورة التكنولوجية التي جاءت بها إلى الوجود، فأضحت اللّغة أكثر تحديدًا وأشدّ تكثيفًا دون حواش أو شروح أو زيادات حتّى يستطيع أصحابُها إيصال مرادهم للقارئ في ١٤٠ كلمة، كما في «تويتر»، أو في أقلّ عدد من الكلمات التي لا تجعل القارئ يملّ كما في «الفيسبوك».

يعدُّ الكتاب الذي بين أيدينا هنا خيرُ مثال لتلك الثّورة؛ (حانة الفوضى: رقصاتٌ تعانق رصاصات). عنوان مختلف لكتاب مختلف، لا تحاول عزيزي القارئ أن تحدّد جنس الكتاب، فمن محاسنه أنّه يجعلنا نتساءل من جديد عن معنى الأدب وندرك مدى هشاشة تعريفاتنا المتواترة له الكتاب نوعٌ جديد يجمع بين القصّة والرّواية.

والخواطر الأدبية ينشرها الكاتب الشّاب الموهوب بحق «مصطفى منير» على صفحته في «الفيسبوك» ويطلق عليها «تخاريف»، ثم يتبعها باليوم الذي نشرت فيه، فهناك تخاريف الأربعاء وتخاريف الخميس...

إلـخ. وهــي؛ مثـل العنـوان الـذي اختـاره «مصطفـى» للكتـاب، فوضويـة وثائـرة وترفـض التّقليـد والقواعـد الصّارمـة، وهـي راقصـة في رشـاقة كلمتهـا وخفّتهـا، وهي كالرّصاصـة مبـاشرة وحاسـمة تصـل إلى قلـب القـارئ بمجـرّد إطلاقهـا، وهـي تعـبّر عـن الإحسـاس بالخيبـة والألم الـذي يسـيطر عـلى جيـل كامـل مـن الشّـباب، ولأنّه يمقـت فكـرة تجميـع منشـورات في كتـابٍ فقـط بـلا هـدف أو معنـى، ولأنّـه يُقـدِّس الكتـاب؛ جمعهـا في قالـب قصصي يحمـل عبـق الخـواطـر ومِسـك الحكمـة وسـمو الهـدف وياسـمين التوعيـة.

ذكّرتنـي كتابـات «مصطفـى» في عمقهـا وتكثيفهـا وحسّـها الفلسـفي برباعيـات «صـلاح جاهـين» وإن كان «مصطفـى» يكتبهـا نثـرًا وليـس شـعرًا، وبالفصحـى وليـس بالعاميّـة. لغـة الكاتـب رصينـة وجزلـة وتـشي بثقافـة واسـعة، ولاغـرو، فالكاتـب بحكـم دراسـته في كليـة «الألسـن»، جامعـة «عـين شـمس»، قـد نهـل مـن عيـون الأدب العالمـي، وبحكـم كونـه قارئـًا نهـمًا للغايـة قـرأ عيـون الأدب العـربي وتأثّـر بهـا. لهـذا يلعـب التنـاص دورًا حيويًـا في تخاريـف «مصطفـى»، فنجـد أرواح الكُتّـاب العُظـام تسـكن التخاريـف بشـكل مبـاشر، يذكـر الكاتـب

من خلالها أسماءهم ويستدعيهم ليشاركوه رحلته، بل ويتوحّد مع مشوارهم لأنّه كما يقول: (لِمَ كل هذا العشق للقراءة والكتب! وقتها أرى «دوستويفيسكي» وهو يكتُب رائعته الأولى «الفقراء»، «عادل كامل» أثناء ليالي بحثه عن مراجعٍ ليُخرج «ملك من شعاع»، «تولستوي» حين عكف على رسم «آنا كارنينا» وأوقات عصبيته، «نجيب سرور» عندما بكى بسبب «بمبي» «چاهين»، هم يعجبهم كلماتَ الكُتُبِ وصفحاتَها، وأنا يأسرني تاريخُ وقصصُ من كتبوا بحبر تعبِهم وثقتِهم فيما سيُنشَر). وتتردّد في التخاريف أيضًا أسماء أعلام أثّروا في وجدان العالم العربي؛ «يحيى الطاهر عبد الله»، «أمل دنقل»، «مُريد البرغوثي»، «محمود درويش»، «غسَّان كنفاني»، «رضوى عاشور»، «أحمد مطر»، «نجيب سرور»، و«صلاح عبد الصبور»، من بين آخرين. ولكن التأثير المباشر يكاد يكون أشدّ وضوحًا، حيث يظهر تأثيرهم في لغة الكاتب وأسلوبه، دون أن يقع أسيرًا لكاتب بعينه ممّا ينأى به عن شبهة التقليد.

وتصبح التخاريف في أحيانٍ أخرى «كولاج» نرى من خلاله رسوم «حنظلة» لـ «ناجي العلي» ونشعر بـ: «كل رسّامٍ يُعلّقُ لوحةً في قبو ذاكرته ويتأمّلها وقتما يهاجمه الليلُ، كل عازفٍ يأبى أن تُلّمح رعشاتَ أصابعه حينما تُداعِب خفايا روحه أنشودته المُحببة» ونسمع ألحانًا!.

ومن خلال سطوره اليومية، التي أصبحت جزءًا من روتيني اليومي، يصول الكاتب ويجول بين قضايا الوطن وأتراحه في «مصر» و«فلسطين» و«سوريا» وغيرها وهمه الإنسان وليس الديماغوجية الفارغة. نجده يتساءل: ما اسم الشهيدة حتى أدوّنه على شاهد قبرها؟ ياسمين القلب ومِسك العُمر وروح الجسد وشمس «فلسطين»؟. ويتماهى مع مأساة الهاربين من أوطانهم إمّا بسبب الحروب أو طمعًا في غدٍ أفضل: سأُقابل حبيبتي على متن قاربٍ يجمع كلّ عاشقي الهجرة الممنوعة، سأكذبُ كثيرًا و أنا أُخفّفُ عنها مُبشّرًا بأنّ كلّ شيء سيصير كما نُريد، سأطلبُ من الله مغفرته، ومن حبيبتي ابتسامتها، ومن والدي عفوه، ومن أمّي رغيف الخبزِ كي أُطعم ذاك الطّفل بين تراتيل الحرب. ويحس بأوجاع الفقير ويحكي كيف: وقفنا أمام شجرةِ الزّيتون نضربها بالأحجار لعلّ الكُرة تسقط ونُكمِل لهونا، مرَ بنا بائعُ الأحلام، أعطى

صاحبَ الكُرة صندوقًا ليقف فوقه ويحضرها، جاد بفستانٍ لأخته الصغيرة وعصا سحرية، نظر إلى ملابسي الرثّة ووجهي المتّسخ، رحل وتركني حزينًا، سألْته البنتُ عن موقفه، فقال لنا جميعًا: أنا هو حين يكبر، هو أنا حين يكبر، الفُقراء تجهل الآلاء بُكاء ليلهم، الفُقراء يكفيهم الأمل، الفُقراء كلّ شيءٍ ضدّهم.

لهذا فمع خالص التقدير لشخص ومكانة الكاتب والفيلسوف الإيطالي «أمبرتو إيكو»، فإن هذا الكتاب وأمثاله، وهم كُثر في كافة اللّغات والثّقافات، يدحض رأيه الذي هاجم فيه وسائل التواصل الاجتماعي قائلًا أنّها: تمنح حقّ الكلام لفيالق من الحمقى، ممّن كانوا يتكلّمون في البارات فقط بعد تناول كأس من النبيذ، دون أن يتسبّبوا بأيّ ضرر للمجتمع، وكان يتم إسكاتهم فورًا، أمّا الآن فلهم الحق بالكلام مثلهم مثل من يحمل جائزة «نوبل»، إنّه غزو البلهاء.

فهي وعاء يزخر بالغثّ والسّمين، مثلها في ذلك مثل كافّة الوسائل والأطر، ولكنّها أعطت الكثيرين من الشّباب الفرصة لإثبات أنفسهم ولإسماع أصواتهم بعيدًا عن رفض وتعصّب «الدكتاتورية الفكرية»

للجيـل الأسـبق الـذي لا يسـتوعب مـدى ولا عمـق ثـورة التعبـير الحاليـة.

«مصطفـى منـير» كاتـب شـاب يمثـل أبنـاء جيلـه أو كـما يقـول: أنـا ضعفكُـم، جنونُكـم، حيرتُكـم، أنـا صوتكـم، أنـا صوتُكـم... أنـا صوتُكـم.... هـو مجتهـد أثبـت نفسـه مـن خـلال روايتيـه السـابقتين «بـاب» و«رهـف»، اللتـين كان لهـما صـدى واسـع بـين الجمهـور والنقـاد، وهـو الآن منهمـك في كتابـة الرّوايـة الثّالثـة ولا يريـد أن يُخرجهـا إلى النّـور قبـل أن تأخـذ حقّهـا في الكتابـة أو كـما قـال لي في إحـدى المـرّات: والـذي نفسـي بيـده لـن تـرى روايتـي الجديـدة النّـور إلّا وقُـرب الكـمال سـمة مدحهـا. ولكنّـه أبـى أن يضـنّ علينـا بـما يصبّرنـا حتّـى ذلـك الحـين فـكان هـذا الكتـاب الغريـب المجنـون الـذي أرجـو أن يعجـب القـرّاء كـما أعجبنـي.

«فدوى كمال عبد الرّحمن»

رئيس قسم اللغة الانجليزية بكليّة «الألسن» جامعة «عين شمس»

الرّقصةُ الأولى

(الخُبزُ والجوعْ)

«ما أقبح الفقر وما أجمل الفقراء».

مجهول

- أرى حانةً على يميني.. حانةُ الف.. الـ..

- حانـةُ الفـوضى، أشـكُرك هـذا هـو المـكان، خطـواتي سـتقودني تلـك المسـافة، كـم الأُجـرة؟

ترجلـتُ وأنـا أتذكّـر مـا بداخـل حافظـة نقـودي، خمسـون جنيهًا ونصـف صـورةٍ قديمـة، تذكـرة مسرحيـة في انتظـار جـودو، خاتـمٌ مـن الفضّـة الرخيصـة، نظـرتُ إلى السّـائق، فقـال:

- عـشرون قصيـدة حُـب وأُغنيـة بائسـة ميّـت هـو ذاك الـذي لا يقلـب الطاولـة ولا يسـمح لنفسـه ولـو لمـرّة واحـدة في حياتـه بالهـرب مـن النّصائـح المنطقيـة. ذاك الـذي لا يسـافر ولا يقـرأ ولا يصغـي إلى الموسـيقى، ذاك الـذي لا يقبـل مسـاعدة أحـد ويمـضي نهاراتـه متذمـرًا مـن سـوء حظـه أو مـن اسـتمرار هطـول المطـر، بابلـو نـيرودا لا يحـب المـال بـل الجـمال يـا أنـت..

رحـل ضاحـكًا، لم أفهـم كلمـةً ممّـا قالـه، صبـاحٌ كهـذا لا يعرفـه الخـيرُ أنـا واثق!الحانـةُ بوسـط البلـد، رَحِـمُ ظلامِهـا لا يلفـظ أحـدًا إلا برغبتـه، هـي الأم؛ تُرضعنـا حليـبَ الفضفضـة مـع الغربـاء، هنا لا تُقـدَم المشروبـات الكحوليـة! هنـا أنـت تـشرب مـا يُلاحقُـك؛ خيبـات، نصوصًـا، سـخريةً، قضايـا، أوطانًـا، أُنثـاك، كل شيءٍ سـتجده، الحانـةُ فِـردوسُ أوجاعِنـا؛ متـى تمنينـا وجدنـا! أعهـد الحانـةَ منـذ صبـاي ولطالمـا حدثـتُ نفـسي بأنـني سـأدخلها يومًـا، وهـا أنـا أفتـحُ بابَهـا وأنـا بالسـابعة والعشريـن، الحانـةُ روادهـا

يتحدثــون جميعًــا ولا يســكت أحــدٌ.

أجهــلُ أيّ يــومٍ يُــشرق اللّحظــة بعالمــي، أكــره الزبائــن، لِمَ تجمّعتــم في هــذا الوقــت؟ أنّهــا العــاشرة صباحًــا وشــتاء ينايــر لا يرحــم! مُهمــة البحــث عــن مــكانٍ أشــبه باعترافــك لحبيبتــك، لمحــتُ هــذا المقعــدَ الخشــبي المُســتدير، ســأجلس عــلى «البــار» إذًا، النــادلُ يقــترب منــي ويخــبرني بــضرورة خلــق الأحاديــث مــع الشــخص الــذي يجــاورني، أنــا المخلــوقُ ســأخلِق؟!

التفــتُ إلى هــذا الرّجــل الهــادئ الملامــح، شــاربه كثيــفٌ، شــعره قصــيرٌ، يتأمــل ســيجارته ويــدوِّن كلــمات، يقــرأ صحيفــةً ويتهكّــم بصــوتٍ عــال، بــدون مقدمــاتٍ خلــق هــو الــكلامَ مــن طــين الحاجــة إلى الإفصــاح:

- يسرقــون رغيفَــك، ثــم يعطونــك منــه كــسرةً، ثــم يأمرونــك أن تشــكرهم عــلى كرمهــم... يــا لوقاحتهــم!

- أنا.....

- أنــا غسّــان.. أو يمكنــك أن تدعــوني «أبــا فايــز»، لا يهمّنــي مــن أنــت، ســمعتُ النــادل يخــبرك بقواعــد المــكان لــذا يتحتّــم عليــك التحــدّث لأنّــك الطّــرف الــذي أتــى مُتأخّــرًا..

البدايــة لا تشــجّع حتّــى عــلى إلقــاء التحيــة، لكــن؛ وطالمــا ســاقني القــدر إلى هنــا فلابــدّ أن أســتجيب. أخرجــتُ دفــترَي، دفـتر «تخاريفـي»، هـذا الدّفـتر الأسـود قاتـم اللّـون كحيـاتي كلّهـا، الدّفـتر الـذي كتبـتُ فيـه بحـبر كلّ ليلـةٍ كنـتُ أُصـارع الوحـدة بسـيف حـزني، بقلـقٍ والقليـل مـن رعشـات البدايـات وابتسـامةٍ شـاحبةٍ لا تُعجِـب ضفدعًـا، خرجـتْ الكلـمات منّـي:

- لأنّنــي ســمعتُ كلمــة «رغيــف»، ســأُحدِّثُكَ عــن «الفقــر والخُبــز والجــوع»، وكل قصــةٍ وحــوارٍ كتبتُهــا مــن وحــي القلــمِ والخيــال...

١

- وكيف غرقتَ في نهرِ حُبِّ أمّي يا أبي؟

- عن طريق لكلماتِها...

- لكلماتٌ! ماذا حدث؟!

- كنتُ صبيَّ النجّارِ الذي يُرافق الخشبَ نهارًا وصرخاتَ المتبارين ليلًا، حلبةُ مُصارعةٍ في أكثر الأماكن قذارةً وكُرهًا للقانون، الفوز حليفي كلّ ليلةٍ، حتى لمحتُ مُنافسًا ضئيلَ الحجم قصيرَ القامة، شعرتُ وقتها أنّ النّصر يبتسم لي، بدأتْ المُباراة وضربني سهمُ الشرودِ حينما وجدتُها فتاةً ملامحها جميلة والفقر يتّكئ عليها!

- ثمّ؟

- وقفتُ مكاني وصرختُ بهم رافضًا أن أُجاريها، اقتربتْ منّي وسط ضحكاتِهم وشرعتْ تلكمني بكلّ قوتِها ودموعِ أنوثتِها وهي تقول: «أمّي تحتاج الدّواء وأنا لا أملكُ المال، دعني أهزمكَ وسأعطيكَ نصفَ المبلغ».

- وهزمتْكَ؟

- هزمني جمالُ عينيها وفقرُ معيشتِها ودموع حاجتِها وشجاعةُ قرارِها وبضعُ لكلماتٍ أضعفُ من طفلٍ يُحارِب أباه.

٢

فقيرٌ؟! نعم؛ فقيرٌ ولا أملكُ ثمنَ طعامٍ قد يُشبع رضيعًا، قميصي صار خِرقةً يغزوها الصقيعُ مُحتلًا ثقوبها، أنا لا أستجدي ولا أريدُ مالَ النّاس، أمّي لا تشعر بأطرافها ولا بأخي الصّغير الذي توقّف عن التنفّس، متى سندفنه؟ السؤال أين لا متى، قُلتُ «لا» كثيرًا؟ العالم صباحًا ومساءً يضربني بها فلِمَ تبحث عن«نعم» بإجاباتي! السّرقة؟ لستُ لها، أمّي؟ أعتقدُ أنّها لحقتْ بأخي الصّغير لترعاه، أبي؟ لم أره طوال حياتي، أنا؟ عزيزُ النّفسِ سيقابل خالقه ويخبره بقصّة عِشقه لفتاةٍ كفيفة، ماذا سأفعل الآن؟ سأنام وأتركُ كلَّ همومي وصراعاتي، وغدًا سأبحثُ عن مقابر لعائلتي وكُرهي للحياة والورد الذي جمعته لحبيبتي وصورة الشّيخ إمام.

٣

- ولماذا رفضتَك حبيبتُكَ القديمة يا أبي؟

- كنتُ فقيرًا للحدّ الذي أجبرني أن أسمع دقّات السّاعةِ عند الجيران فأدركُ الوقت، وأحفظ الجرائدَ لكثرة تصفّحي لنفس الجريدة لأيامٍ، قميصي فشلتْ أمّي في كلّ محاولاتها لترقيع قماشه؛ فصنعت لي من جِوالٍ قديمٍ قميصًا يستر جسدي النّحيل..

- رحم الله أمّي، أيضًا تحمّلت معنا ما يفوق عزائم الجبال.

- رحمها الله، والآن علينا أن نُغادر الحديقة كي لا يطردنا الحارس..

- هل سننام بالسّوق كالبارحة؟

- لا؛ أعتقد أنّ محطّة القطار هي الأفضل ولن يتعجّب أحدُهم من رُجلين افترشا الرّصيف..

- يبهجني وصفك لي بالرّجل يا أبي..

- الرّجل والفقر رفيقان درب يا صغيري.

٤

كنتُ أبيع الكُتبَ على رصيفِ حارتِنا، المُقابلُ زهيدٌ وزاهدٌ أنا، كلماتُ محمود شاكر في «أباطيل وأسمار» تأسرني كصاحبِ قضيةٍ سُجِنَ قهرًا، لمحتُ ظلَّ فتاةٍ تتأمّل نجومَ سماءِ الأدب، ابتسامةُ ثقةٍ ونظراتُ قارئ يعهد جيّدًا عمَّا يبحث، اقتربتْ وبصوتٍ يُشبِه ناي كلّ متصوفٍ استفسرتْ: «أين فُقراء دوستويفسكي؟». لأُجيبُها ضاحكًا: «حولكِ في كلّ مكانٍ.. وأمامكِ الآن أفقرهم».

٥

- سيُنَفَّذ حُكم الإعدام الآن، سرقتَ الخبزَ واللّحمَ والدّقيق من متاجر الحكومة ولم تُنكِر فعلتك، لك الحق في خمس كلمات فقط...

- سأذهب إلى الجنّةِ كي أشبع...

- أمنيتُك الأخيرة؟

- زوجتي كفيفة، هل تعدمها معي كي أرعاها؟ أطفالي ماتوا جوعًا وهي وحيدة..

- سنتكفّل بها لا تقلق..

- أوليس سبب مصيري هذا هو تقاعسكم عن توفير أبسط حقوقنا؟ الموت أرحم بنا.

٦

سأكتبُ روايةً عن طفلٍ يحمل بندقيةً ويُحارب مع الرّجال، سأرسمُ لوحةً لبسمةِ أمّي وهي تعطفُ على يتامى الحيّ، سأُرسلُ إلى والدي خطابًا أشكره على حذائه القديم الذي سرقته منه، سأُقابل حبيبتي على متن قاربٍ يجمع كلّ عاشقي الهجرة الممنوعة، سأكذبُ كثيرًا و أنا أُخفّفُ عنها مُبشّرًا بأنّ كلّ شيء سيصير كما نُريد، سأطلبُ من الله مغفرته، ومن حبيبتي ابتسامتها، ومن والدي عفوه، ومن أمّي رغيف الخبزِ كي أُطعمُ ذاك الطّفل بين تراتيل الحرب.

٧

- كشـخصٍ ينتمـي للطّبقـةِ الكادحـة لـن أبـوح بحبّـي لـكِ خجـلًا مـن ثقـوب قميـصي، هنـاك علاقـةٌ أحترمهـا بينـي وبـين عربـات النّقـل العـام، أجهـل كيـف تتذمّريـن مـن ضيـق مسـاحة سـيارتكِ، البارحـة طلبـتِ منّـي رقـم هاتفـي ولمحتُـكِ تضحكـين ريثـما شـاهدتِ طـراز هاتفـي القديـم المُتهالـك؛ أنـا شـخصٌ لا يهاتفـه أحـدٌ سـوى الحيـاة، أرى مـدى تعلّقـكِ بذلـك الغنـيّ الـذي يسـتطيع شراء الشّركـة بأكملهـا لأجلـكِ، تسـتحقين المـال والسّـعادة ولا يصـحّ أن تلتفتـي إلى فقـيرٍ مثـلي، سـأكتفي بمُراقبتـكِ وأنـتِ تضحكـين لمجاملتـه الحمقـاء، ألا لعنـة الله عـلى الطبقيـة والحـب؟

- للمـرّة العـاشرة أطلـب منـك أن تكتـب رسـالةً إليهـا عـن عشـقكَ لهـا! لِمَ كلّ هـذا السّـخط؟!

- لأنّ الحياة لا تحبّ الفقراء يا رفيقي.

٨

وقفنـا أمـام شـجرةِ الزّيتـون نضربهـا بالأحجـار لعـلّ الكُـرة تسـقط ونُكمِـل لهونـا، مـرَّ بنـا بائـعُ الأحـلام، أعطـى صاحـبَ الكُـرة صندوقًـا ليقـف فوقـه ويُحضرهـا، وفسـتانًا لأختـه الصغيرة وعصـا سـحرية، نظـر إلى ملابـسي الرثّـة ووجهـي المتّسـخ، رحـل وتركنـي حزينًـا، سـألتْه البنـتُ عـن موقفـه، فقـال لنـا جميعًـا: «أنـا هـو حـين يكـبر، هـو أنـا حـين يكـبر، الفُقـراء تجهـل الآلاء بُـكاء ليلهـم، الفُقـراء يكفيهـم الأمـل، الفُقـراء كلّ شيءٍ ضدّهـم».

٩

- تذكـرةٌ واحـدة لفيلـم اليـوم، ستشـاهدينه بمفردكِ وسـأنتظرُكِ بالخارج..

- كي أروي لك التفاصيل بعدها فتسبح بخيالك؟

- الحقيقةُ لا أملكُ سوى ثمن تلك التذكرة....!

١٠

راقبتُ ذلك العجوز وهو يغدقُ على فاتنتِه بغيثٍ من النّقود، وقفتُ بجانبه وجثوتُ على ركبتي حتى أُنظِّف حذائه قائلًا: «سأجعلُها كالمرآة مقابل ما تجود به على فقيرٍ مثلي كي ابتاع الخبزَ فأُشبع خمسةَ بطونٍ خاوية». لم ينظُر إليّ بل ركلني صارخًا: «أمثالُك لهم بيوت الله، قف أمامها رافعًا يديك للعابرين».

ومضى وتركني أُلملم فُتاتَ كرامتي باسمًا وكلّي يقين أنّ من لا تأخذه سنة ولا نوم سيستجيب.

١١

- كتبـــتَ لهــا عــلى علبــة ســجائر أنّــك والمــوت البطــيء تعشــقانها؟!

- نعم.

- وماذا قالتْ؟

- شكرتني على كرم عرضي ورفضتْ لأنّني فقير.

١٢

كادحٌ فقيرٌ أنا لا أملكُ سوى قلمي ودعوات أمّي أن يرزقني الله بمن ترضى بقميصي الذي أغسله بماء النّهر، وأنتِ ثورةٌ هجرها الجائعون بحثًا عن قوتِ يومهم، لكِ القرار؛ فقرُ عاشقٍ أم هجرُ فقر؟

١٣

- هي أَمْ الثّورة؟

- هي..

- هي أَمْ الوطن؟!

- هي..

- هي أَمْ الكُتب؟؟!

- هي..

- هي أَمْ الفقراء؟؟!!

- الفُقراء...

- ولِمَ تَبدَّل الجواب الآن؟

- لأنّها ثورتي ووطني وكتابٌ عنها، أمَّا الفُقراء؛ هم من ساعدوني كي أصل إليها..

- كيف؟

- أعطاني كلّ فقيرٍ ورقةً وبضع جنيهات..

- وما سرّ الورقة؟؟

- كتبوا بها: «ثورةُ فقراءٍ من أجل وطنٍ؛ فلا تردّيه خائبًا؛ كفانا العالم وخيباته».

١٤

سامحتُ كلّ فتاةٍ رفضتْ دعوتي على العشاء، أتذكّر تلك الكاملة التي وافقتْ ورافقتني، كانتْ بائعةَ الوردِ بمنطقتنا، أقسمتْ لي أنّها ستعطيني الزّهورَ مجّانًا مُقابل كرم عرضي، البهجة هي والبؤس أنا، وقتها طلبَ منّي النّادل أن أتبعه حتّى المطبخ، بهدوء رجلٍ عجوز فقد زوجته البارحة سألني: «شَّحَّاذٌ مثلك لا يملك ثمنَ طبق الخبز؛ ماذا يفعل هنا؟». راقبتُ توتّرها من خلف الباب وأجبته: «أنا فوضويٌ و يُحبّ، وحبٌّ بلا مُخاطرة كالثّورة بدون نشوة النّصر!».

١٥

- كتبتُ لها خطابًا و تعمّدتُ إرساله مع بائع الورد.

- لِمَ هو بالتحديد؟

- كعاشـقٍ للجـمال والأناقـة، يختـار كلماتـه كالأزهـار، سـيعهد كيـف يـبرّر لهـا سـبب كتابـة الرّسـالة عـلى قطعـةٍ مـن قـماش قميـصي..

- ساحرةٌ تلك الطّريقة!

- لم أقصدهـا، كلّ شيءٍ في غرفتـي عرضتـه للبيـع حتّـى جمعـتُ بالـكاد ثمـنَ الـورد وموافقتـه كـي يذهـب بنفسـه.

١٦

فقــيرٌ أنــا أعشــقُ حيــاةَ الصعاليــك، لــذا لا تتعجبّــي إن قابلتُــكِ حــافيَّ القدمــين يومًــا؛ لعــلّ رفيقــي اســتعار حذائــي ليجــد وظيفــةً أو يعــترف بحبّــه!

- كفاك تخاريفَ قلمٍ لا يعهد مقصده...

توقفتُ عمّا أحكيه، وجدتُه يُدخِّن بشراهة صقرٍ يبحث عن فريسته، أخرج قلمَه وكتب لي ورقة، ألقاها أمامي، تأمّلتُ ما خطّ بيمناه: «إذا كُنّا مُدافعين فاشلين عن القضية؛ فالأجدرُ بنا أن نُغيِّر المُدافعين لا القضية!».

- لا أفهم مقصدَك يا أبا فايز؟

- لأنّك لا تدافع عن قضيةٍ؛ تنقلها فقط! هل تعتقد بأنّك حقًّا حرَّكتَ نملةً في جيش همومي؟ أنت أفشلُ مُناصرٍ رأيتُه!

- أعتذرُ لك عن..

- لا تعتذر! أخبرني كيف تتحدّث عن الفُقراء ولستَ بينهم تسمع قصصَهم؟ هل ماتت أمّك جوعًا؟ هل فقدتَ أخاك؟ أتبيع الكُتبَ؟ متى قابلتُ حبيبتَك حافيَّ القدمين؟

كصفعةِ أمي عندما أكذب كانتْ أسئلته، تلعثمتُ، كان يجب أن أختار حكاياتي معه، يبدو أنّه يسقي أشجارَ صباحاتِه بماء القضية!

أشعل سيجارةً وثورةً على كلامي، بنبرةٍ يدفعها الحماس اخترقتْ غُلاف صمتي قال:

- في المُخيم عندما كنتُ في السّابعة عشر، يتولّى معلمو التلاميذ الصغار المواد كافةً بما فيها الرسم والحساب

والإنجليزية والعربية وغيره. ذات يوم، كنتُ أحاول تعليم الأولاد أن يرسموا تفاحةً وموزةً تماشيًا مع البرنامج الذي أقرّته الحكومة السورية، إذ إنّني كنتُ أمارس التعليم هناك، وكان عليّ أن أتقيّد بالكتاب، وفي تلك اللّحظة، عندما كنتُ أحاول أن أرسم هذين الرّسمين على اللوح بأكمل وجه ممكن، انتابني شعور بالغربة والغرابة وعدم الانتماء، وأذكر جيّدًا أنّني شعرتُ في تلك اللحظة بأنّ عليّ أن أقوم بعملٍ ما، إذ أنّني أدركتُ بوضوحٍ، قبل أن أستطلع وجوهَ الأطفال الجالسين خلفي، أنّه لم يسبق لهم أن شاهدوا تفاحةً أو موزة، وبالتالي كانت هذه الأشياء آخر ما يثير اهتمامهم، لم يكن هناك ارتباط بينهم وبين الرّسمين، كانت تلك نقطة حاسمة، تذكرتُ كلّ الأحداث التي مرّت بحياتي ونتيجة لذلك محوت الرّسوم من اللّوح وطلبتُ منهم أن يرسموا مُخيّمًا...

ظننتُ أنّي أكافح من أجلهم! طوال هذه المدّة وأنا أخبر نفسي بأنّ الجنّةَ من نصيبي لأنّني أدافع عن الفُقراء وحقًّا لم أجلس مع فقيرٍ منهم ولو لثوانٍ قليلة، أنا لستُ مُناصرًا؛ أنا أضعف من قلمٍ مقصوف!

أنا ضعيفٌ يا الله، أضعفُ من وليدٍ تركه أبوه لأنّه لا يملك ثمنَ غذائه، أضعفُ من أُمٍ يبكي طفلُها أمامها جوعًا وبردًا، أضعفُ من وطنٍ لا يرعى الحاكم مصالح شعبه،

أضعفُ من كاتبٍ لم تحقّق روايته ما تمنّاه، أضعفُ من قلمٍ صاحبه يكره الحقيقة، أضعفُ من حنظلة «ناجي العلي»، أضعفُ من حبيبتي حين اعترفتْ بأنّها لم تعد تؤمن بالحُب، أضعفُ من كفيفٍ يسمع النّاس تتحدّث عن جمال النّهار، أضعفُ من عجوزٍ لا تتذكّر أين دواء زوجها...

شعرتُ بكفّه تلمس كتفي، فهم من يأس نظراتي ما يدور بداخلي...

- اسمع يا فيلسوفي الصّغير، الإنسان يعيش ستّين سنة يقضي نصفها في النّوم، بقيّ ثلاثون سنة في الغالب، أليس كذلك! اطرح عشر سنوات ما بين مرض وسفر وأكل وفراغ، بقيّ عشرون! إنّ نصف هذه العشرين قد مضت مع طفولة حمقاء، ومدارس، لقد بقيت عشر سنوات، عشر سنوات فقط! أليست هذه جديرة بأن يعيشها الإنسان بطمأنينة؟ أن يشعر الإنسان بوجود من يدافع عنه ويقصّ على النّاس حكايته لعلّهم يلمحونه؟

- معك كلّ الحق، أنا لستُ فيلسوفًا، جلّ ما أردتُه هو إيقاظ النّاس من غفوة تجاهلهم..

- حاول أن تفهم كلّ قيمةِ كلماتي كانت في إنّها تعويض صفيق وتافه لغياب السّلاح، وإنّها تنحدر الآن أمام شروق الرّجال الحقيقيين، الذين يموتون كلّ يومٍ في سبيل شيءٍ

أحترمـه، أُكتـب يـا أنـتَ عـن الخبـزِ والجـوع وتعايـش معهـما كـما تعايشـتُ مـع قضيّتـي وكنـتُ أصرخ بهـا في كلّ لحظـةٍ وأحـارب هنـا وهنـاك، اسـمع مـن الفُقـراء الذيـن يحاوطـون طرقاتِـك، لا تكتـفِ بعطفـك عليهـم بـل ادفعهـم إلى تغيـير مصيرهـم، رافـق خيالـك وحقيقـة مواقفهـم بالمثـل، بعـض المنعطفـات قاسـية لكنّها إجباريـة لمواصلـة الطّريـق، قـوّةُ قلمِـك في شـدّة صدقـه لا جمـال كلماتــه وتذكّــر...

أخمـد نـيرانَ سـيجارته، وقـف بشـموخٍ قبـل أن يُغـادر وقـال بصـوتٍ أجـش:

- ليـس المُهـم أن يمـوت الإنسـان قبـل أن يحقّـق فكرتـه النبيلـة، بـل المُهـم أن يجـد لنفسـه فكـرةً نبيلـةً قبـل أن يمـوت...

أعطـاني ورقـةً أخـري ورحـل بشـمس حريتـه وأكـوان قضيّتـه وجبـال جسـارته، قـرأتُ مـا كتبـه....

«ولا تمُتْ قبل أن تكون نِدًّا».

الرقصةُ الثانية
(رِفاقُ الدّربِ وهي)

«يجب أن تملك فوضى بداخلك كي تستطيع أن تلد نجمةً راقصة».

نيتشه

سأرحل....

هـذا المـكان سـيزيد بـؤسي بؤسًـا وحزنًـا وحماقـةً، تحدّثـتُ مـع شـخصٍ لا أعرفـه عـن قضيـةٍ توسّـمتُ في نفسـي أنّي مُناصرهـا، والنتيجـة!

الرجـلُ يحمـل هـمَّ البشريـةِ كلّهـا وكأنّـه أطلـس! صـار الاحتفـاظ بتخاريـف قلمـي واجبًـا لا منـاص منـه...

- أعلـم أنّـك حديـث العهـد هنـا، ولكنّـي لا أعـرف إذا كنـتَ فاقـدًا للسّـمع والبـصر أم لا!

- أنا أسمع وأرى! ما بك أيّها النادل! لِمَ تلك القسوة!

- لا وقـت لـديّ لأسـمع مأسـاتك، هـذا الرّجـل هنـاك يدعـوك للجلـوس معـه وأنـت لا تلحـظ ذلـك..

- لا أريد أن..

تركنـي ليبـاشر مهامـه، اليـوم كـما العـادة ليـس يومـي، الـكلّ يُعاملنـي كغائـطِ كلـبٍ، التفـتُّ إلى هـذا الغريـب، أشـار إلى المقعـد الخـالي بجانبـه، طويـتُ ورقـةَ غسّـان داخـل دفـتري، لم يكـن بمُفـرده، شـخصٌ نحيـل يكتـب بقلـمٍ مـن نـور يجلـس أمامـه، بخطـواتٍ أثقـل مـن ذنـوب «راسـبوتين» تحرّكـتُ تجاههـما، جلسـتُ وسـمعتُ هـذا النحيـل يخاطـب صديقـه:

- المجـدُ للشّـيطان، معبـود الرّيـاح، مـن قـال لا في وجـه مـن

قالـوا نعـم، مـن علّـم الإنسـان تمزيـق العـدم، مـن قـال لا فلـم يَمُـتْ، وظـلّ روحًـا أبديـة الألم..

- كلماتُك الأخيرة يا أمل..

- بـل كلـمات سـبارتكوس الأخـيرة يـا يحيـى، صديقـي الطّاهـر وعبـد الله المُخلـص للفُقـراء، قصائـدي تُنسـب إلى شـخوصها يـا رفيـقَ الـدّربِ...

عرفـتُ اسـميهما بـدون عنـاءٍ، يحيـى وبشرتـه السّـمراء وملامـح وجهـه الحـادّة ونظـراتُ عينيـه القاسـية، ممشـوق القوام والشّـموخ يقـف بجانبـه، أمّـا أمـل فـكان نحيـلَ الجسـد والوجـه، بشرتـه كبـشرة خليلـه وشـاربه أخـفّ مـن غسّـان، عينـاه نافـذةُ روحٍ تحـترق بلظـى كلماتِـه، الحقيقـة لم يتبـيّن لي هـل الطّـول صديقهـما أم عدوهمـا، بـدأ يحيـى الـكلام وحمـدتُ ربنـا عـلى هـذا:

- أنـا لسـتُ فضوليًـا وأحـبُّ المـوتَ ولا مانـع لـديّ في التعـرّف إلى الغربـاء، دعوتُـك لأنّنـي شـاهدتُ عصبيـة هـذا الرّجـل الـذي كنـتَ تجالسـه، لذلـك هـوّن على نفسـك وتحـدّث معنـا إذا أردتَ..

- أبـو فايـز، لـن أنكـر عظمـة هـذا الرّجـل، تحدّثـتُ معـه عـن الجـوع والخبـز ولم يعجبـه كلّ شيءٍ كتبتُـه عنهـما، علّمنـي درسًـا لـن يعلّمنـي أحـدٌ مثلـه!

- الجـوع؟ جـاوز الحـدّ وخـاف مـن قسـوة التّشريـع فثقـب

الحائـط بالهمّـة واليديـن وبـذراعٍ مـن حديـد، هكـذا فـرّ الآدمـي ذات يـوم بعيـد – مـن جحيـم الأهـل ونعيـم الحـضر إلى جحيـم البيـد: حيـث الوحـش وحيـث لا مـاء ولا بـشر، والآدمـي لا يواجـه الوحـشَ إلّا بالنّـار التـي تُولـد مـن ضرب حجـر بحجـرٍ. فـرّ آدمـيٌّ ذات يـوم بعيـد مـن جحيـم التّشريـع...

– كلماتٌ رائعة يا يحيى وتحمل معنى!

– وهل تحدّثتَ معه بما هو أدنى؟

– لا.. بـل.. نعـ.. نعـم يـا يحيـى، رصاصـات كلماتِـك وضعتْ حبـلَ المشـنقةِ حـول رقبـة نصـوصي بـكلّ يـسرٍ...

ملامـحُ وجـهِ أمـل تقتلنـي! يـا الله! هـل يحمـل هـذا الرّجـل روحًـا بداخلـه؟ ومـا قالـه يحيـى منذ لحظـاتٍ قـضى عـلى كلّ وردةٍ تحمـل ثنايـا المعجـزة، أزهـار وجـداني لونُهـا أسـود، سأسـمع مـن أمـل مـا قـد يقولـه عـن الجـوع إن تحـدّث وسـأتركهما في الحـال، لا مـكان لي هنـا، أنـا تائـهٌ، مُشـتّتُ الفكـرِ، أحـارب الغـرقَ باحثًـا عـن قشـةٍ ببطـن حـوت يونـس، الوقـت بطـيء وأمـل يبتسـم، الوقـت بطـيء ويحيـى يُدخِّـن، الوقـت بطـيء وأنـا سـلحفاة تجاريـه، أضـاف أمـل:

– كـما قـال يحيـى هـوِّن عـلى نفسـك ولا تذبحهـا بسـكاكين مـن أكثـر منـك خـبرةً، وحتّـى أخفّـف عنـك وطـأة الرّهبـة؛ سـأطلب منـك أن تقـصّ علينـا مـا بـاح بـه قلمُـك ولا تضربنـك ريـاحُ

الخـوف؛ لـن نُعطيـك درسًـا بعدهـا بـل سـننصحك إن تطلّـب الأمـر..

- أشـاركك الـرّأي يـا أمـل، قُـل ما شـئتَ يـا أنت، وسنسـمعك حتّـى النهاية..

فتحـتُ الدّفـترَ مُتنقّـلًا بـين صفحاتـه حتى لمحـتُ عنـوانَ كلماتي، هـذا العنـوان الـذي يدهسـني كحشرةٍ مرّت عـلى منضدتـك فكان عقابُهـا الدّهـس، هـل تحدّثـتَ مـع أحـدٍ مـن قبـل وأنـت يائـسٌ مدهـوس؟ دهستَك الدّنيـا واليـأس يتلـذّذ بلعـب الشّـطرنج مـع فيالـق حزنِـك؟ هـذا حـالي دومًـا حتّـى قبـل أن أتكلّـم معهـما...

- حسـنًا، سـأتـ.. إحـم إحـم... اعـذراني، لأنّكـما صديقـان ويعجبنـي هـذا، سـوف أحكـي لكـما عـن رفـاق الـدرب و... إحـم إحـم.....

- و؟؟

- وهي..

١

تُدخِّــن وأنــا لا، ترســم وأنــا أكتــب، مُســتقرّةٌ وأنــا فوضــوي، خياليــةٌ وأنــا واقعــي، تهــرب وأنــا أواجــه، تخــاف وأنــا بالمثــل، تكرهنــي وأعشــقها، ترفضنــي وأحبّهــا، هــي الضّبــاب وأنــا المُــشرّد بداخلــه، الثّــورة وأنــا المُخلــص لشــهدائها، المــوت وأنــا التــوّاق لملاكــه، الصّبــاح هــي واللّيــل أنــا، الابتســامة هــي وأنــا المــرض، هــي هــي وأنــا أنــا ولــن يحــدث مــا يجعلهــا أنــا ولا يحيلنــي هــي.

٢

- كُنَّـا نتنافـس أنا وهـي في كلّ شيءٍ كالقـراءة والكتابـةِ والخروج في المُظاهـراتِ ضـدّ الحكومـة ورسـم الشّـعارات الرّافضـة للظلـم على الجـدران..

- عظيم! بالرّغم من هدوء زوجتِك وابتسامتِها الحانية...

- ومن أخبرك بأنّني أتحدّثُ عنها؟!

- عمّن إذًا حديثنا؟!

- عـن تلـك التـي رفضـتْ حيـاةَ الثّائريـن وتزوّجـتْ مـن سـياسي كاذبٍ، فعلـتْ ذلـك كـي تعاقبنـي!

- لِمَ؟!

- طلبـتْ منّـي بـدلالٍ أن أتعمّـد الهزيمـة أمامهـا حينـما نتنافـس في كتابـة المقاطـع السّرديـة وأنـا لـن أعطيهـا مجـدًا زائفًـا ونشـوةَ نـصرٍ بجهـد غيرهـا!

٣

كنـتُ جُنـديَ الاحتـلالِ الوغـد وكانـتْ هـي الثّائـرة العاشـقة للقضيـة، وقفـتُ أمامهـا أثنـاء الحـرب ولمحـتُ بندقيتَهـا تُراقبنـي لتنهـي نهـارَ حيـاتي وتجعـل اللّيـلَ الأبـدي يُلازمنـي، البنـتُ ضحكتُهـا مريميَّـة؛ فأجبرتنـي أن أسـتقبل الرصاصـة باسـمًا راضيًـا لا أخـاف المـوت ولا وحشـة وحدتـه، الطلقـةُ كانـتْ جميلـةً وكذلك ابتسـامةُ نصرِهـا حـين سـقطتُ بوسـط الميـدان.

٤

- لِمَ كتَبْتَ في نهاية رسالتِكَ «رِفاقُ الدّربِ» و ليس توقيعك؟
- حتّى لا أُنكرُ حقَّ كلّ من ساند كي تصل إليها.

٥

لا أعـرف لِمَ أنـا في السّـجنِ الآن، كتبـتُ البارحـة عـلى جـدارٍ بوسـط المدينـةِ: «أكـره أبـاكِ لأنّـه فـرّق بيننـا كالحكومـةِ مـع الشـعب». مـن الـذي لمحنـي وبلّـغ عـن جسـارة عشـقي؟ مـن سـيُخلِّد سـيرتي ونظريـةَ الفـوضى؟ ألا لعنـة الله عـلى الحكومـةِ وأبيـكِ!

٦

- أُعـاني مـن هَـرْج الاعترافـات، أعشـقُ رائحـةَ المطـر، الأُنثـى عِطْـرُ الثّـورة، أخـاف تكدُّسـات البّـشر، أُحبُّـكِ، جمالُـكِ بسـيطٌ كبسـمةِ فتـاةٍ عثـرتْ عـلى رسـالةٍ لحبيبهـا القديـم، كتبـتُ جداريـةً عــن الوطــن، قــرأتُ أشــعارَ مُريــد البرغوثــي كلّهــا، أتمنــى أن يجـود الزّمـان علينـا بموهبـةٍ مثـل ناجـي العـلي، أصابـتْ أم كلثـوم كبـد الحقيقـة حينـما قالـت: «هـذه الدّنيـا سـماءٌ أنـت فيهـا القمـرُ».

- بالتأكيد لم أعهدُ ما ترمي إليه!

- أخبرتُـكِ في بدايـة كلامـي عـن... لا يهـم، أعتـذرُ عـن حماقـة كلـماتي.

٧

صـوتُ البنـادقِ طغـى عـلى وحشـة الحـرب، وقفـتُ بالمنتصـف أرى رِفـاقَ دربي مُحاطـين بأوغـاد المُحتـلّ، وحبيبتـي تتعـارك مـع أحدهـم، قـرارٌ أسرع مـن صرخـةِ رضيـعٍ خـرج للحيـاة، ركضـتُ تجاههـا معتـذرًا بداخـلي لأخِـلّاء الرّحلـة، تعثـرتُ، لمحـتُ خنجـرَه يخـترق صدرَهـا، رحـل بعيـدًا وهـو يضحـك، اقتربـتُ منهـا ومـلاك المـوت يبتسـم لهـا، ثـم ضربتنـي المفاجـأة حـين وجدتـه رفيـق دربي لا هـي!

أخـبرني وهـو ينـازع المـوت: «أتحسـب أنّنـا سـنترك وطنـك الصّغـير؟ ألبسـناها مثلنـا وهـي مـع الرِفـاق هنـاك لا تقلـق، دافعـتُ لـك عـن وطنـك الصّغـير فـلا تبخـل بشـجاعتك عـلى وطننـا الكبـير».

مات رفيقي ولم يُدرك أنّها هي وطني الصغير والكبير.

٨

- ولِمَ قد أحبُّكَ عن سائرِ البّشر؟

- سيخبرونكِ بعشقهم لابتسامتكِ، أمّا أنا؛ سأقابلكِ مرتديًا زيّ المُهرِّج قائلًا: «الوردُ مُقابل ضحكتكِ».

٩

أعطيتُهـا كلّ شيءٍ تسـتحقه؛ كتابًـا عـن الثّـورة، أُنشـودةً للحُريّة، صـورةَ أمّـي وقميـصَ أبي، شـعارات چيفـارا و»الحـرب والسّـلام« لتولســتوي، قصــصَ الذيــن ماتــوا عِشــقًا وباقــةَ وردٍ جمَّعهــا كفيـفٌ، حتّـى الجريمـة الكاملـة لم أبخـل بهـا، والآن ترفـض حبّـي خوفًـا منّـي.

١٠

- سأكتبُ عنك غدًا في جريدتِنا.

- سيرفض رئيسُكِ المقال وقد تخسرين وظيفتَكِ..

- «الفوضى والمُتمرّد الذي أحبّه» ويرفضه!

- جنـون الفـوضى عـدو الرؤسـاءِ وأصحـابِ رابطـات العنـق، لـكِ القـرار ولي تحمـل عواقبـه..

- لِمَ؟

- لأنّنـي مـن رسـمتُ شـعارات بطـلاء أظافـرِكِ عـلى جـدران مقـرِ الصحيفـة كـ«الفـوضى ترقـص عـلى جثـث روتينكـم»، ولوحـةً تُعـبِّر عـن قلـمٍ تنحنـي لـه الضّبـاع والذّئـاب، أنـا مـن جعلـكِ تضربـين زميلَـكِ الـذي حـاول أن يتغـزّل بجمالـكِ، أنـا مـن وقـف يُشـاهد لكماتَـكِ لتلـك الفتـاة التـي نعتتْـكِ بالرّقيقـة، لـن يغيـب عنّـي هـذا اليـوم وقتـما حضرنـا حفـلَ زفـاف صديقتِكِ بملابسـنا الرياضيـة!

- لقد أغفلتُ تلك الواقعة! سأكتبُها ولا تهمّني النتائج..

- فليكن، والآن ماذا سنفعل؟

- سنقرأ رسائل كافكا إلى حبيبته ميلينا.

١١

كنــتُ البندقيــةَ وكانــتْ الرّصــاص، كنــتُ الكتــابَ وهــي الكلـمات، اللّيـلُ أنـا والصّبـاحُ ابتسـامتُها، كنـتُ القـاربَ وخجلُها كان بحـرًا، ملامـح بـؤسي رسـمتْ الأرض وهـدوء طلّتِهـا عَـزَفَ السّـماء، أنـا القلـبُ والنبـضُ هـي، أنـا الفقـرُ والرّضـا هـي، أنـا التّائـه والوطـنُ هـي، أنـا الموسـيقى والرّقـصُ هـي، أنـا الدّرويـشُ والحـضرةُ هـي، النّـاي أنـا وشروخُ روحِـهِ هـي، كنـتُ كُلّ ناقـصٍ وكانــتْ كُلّ كـمالٍ.

١٢

- والآن أخبرني بكلّ آيات جسارتك..!

- حاربتُ على الجبهة وقتلتُ خمسين رجُلًا، قرأتُ مؤلّفات فرانس كافكا وديستويفيسكي وكنوت هامسون ولم يتمكّن مني الحزن، قطفتُ كلّ أزهارِ الياسمين ونثرتُها على قبورِ من سبقونا، روّضتُ أسدًا وجعلتُه كقطةٍ تعشق المشاكسة، لوَّنتُ جدران منطقتنا كما العلم الفلسطيني وكتبتُ: «أنتِ حُرّة والأسرى نحن».

- ونقاط ضعفِك؟

- تقصد نقطة ضعفي....؟!

- تعجبني ثقتك! حسنًا؛ ونقطة ضعفك؟!

- هي.

١٣

أؤمــن يــا الله بعقيــدةِ رفــاقِ الــدّرب، وبــكلّ رفيــقٍ أعطــاني سـلاحًا وكُتُبًـا ورسـالةً إلى حبيبـةٍ يجهـل طـرقَ مُصارحتِهـا، أرى الفقــيرَ الصّعلــوك الــذي يضحــكَ عــلى العــالم برفقــة ســيجارته هــو ملــكُ زماننــا، أعشــق تمــرُّد كلّ فتــاةٍ تخلّصــتْ مــن ضفائرهــا واسـتبدلتْ أحمـر الشّـفاه بسـيجارٍ كـوبي، أنـا لسـتُ بمفـردي إن قامــتْ ثــورة، أنــا لســتُ وحيــدًا إن حاوطنــي غــدرُ الكارهــين، أنــا أؤمــن يــا الله بعقيــدةِ رفــاق الــدّرب.

١٤

- أحبُّكِ...

- وماذا عن تذبذب قراراتي؟ ذبول ابتسامتي؟ هالات عيني السوداء؟ أيام حزني؟ رتابة أحاديثي؟ قلّة جمالي؟ كثرة شرودي؟ شراهة تدخيني؟ ندرة مزاحي؟ تزاحم أفكاري؟صعوبة نومي؟!

- أنا لا أملكُ سوى فوضوية حياتي وخمسين جنيهًا، لذا القرار لكِ الآن؛ إمّا الموافقة ودخول السينما أو الموافقة وتناول الشاورما؟!

- لا أستطيع...

- سأعتبرها موافقتكِ، أعتقد أنّ شاورما اللّحم ستكون أرخص..

- من أنت؟!

- من سيحوّل كلّ ياء في تفاصيل عالمكِ إلى نونٍ وألِف.

١٥

سأُخبرُكِ عن معالم فوضويتي، كقهوتي التي أعدُّها وأنساها، وكلّ الصباحاتِ التي أقسمتُ فيها أن أكُفّ عن تأمّل صورتَكِ، مُقدمات الرّوايات وكيف تراجعتُ عن كتابتها نظرًا لعشوائية مزاجي، سأُحدّثُكِ عن درويش ونزار وچاهين والشّيخ إمام وسأتركُكِ تقلّبين كفّةَ الحديثِ حول حماقاتِ الحُبّ ضاحكًا، سأحاول أن أتذكّر اسمكِ وسبب تلك العلاقة، هل تقبلين بشخصٍ قد يُحضر لكِ باقةَ الورد مساءً ولا يرسلُ إليكِ خطاباتَ العِشقِ صباحًا لأنّه يجهل مكانَ قلمِه؟ أنا لا أصلُح للعلاقات طويلة المدى يا صغيرتي.

١٦

- نـــزار قالهـا مُســبّقًا: «إذا انتهــى الــكلامُ بينـــي وبينـــك، وتقطّعــت سُــبل الوصــال، وافترقنـا وعُدنـا غربـاء، تعــرَّف عـليّ مُجــدّدًا». تعجبنـــي حقًّــا تلــك الفكــرة...

- ثــلاث كلــمات تعهدينهــم، أمطــري أرضَ قلبــي بغيثهــم وســنعود.

- رقصةُ ثورتكَ أنا؟

- رقصةُ ثورتي أنتِ.

١٧

وأنـا أيضًـا يـا عزيـزتي أكرههـم حـين يسـألونني عـن تقلّبـاتِ مزاجـي، تبريـراتِ صمتـي، أسـبابِ ضحكـي المفاجـئ، علامـاتِ شرودي، حُبّـي للوحـدة، تعلُّقـي بجـدّتي، عِشـقي لفلسـطين، ملابـسي الكلاسـيكية غـير المواكبـة، شـعري المجعّـد، قصائـد درويـش وعجزهـم عـن فهمهـا، لِمَ لا نسـافر سـويًا إلى قريـةٍ بعيـدة جـلّ مـا قـد يسـألونه: «كيـف حالكـما اليـوم؟».

١٨

- أنظر! أعتقد أنّها جميلةٌ جدًا!

- أنتِ أجمل يا فتاة..

- لا تكذب!

- هل تعشقني أكثر من النادي الأهلي كما تفعلين؟

- ليتَك تشجّعه معي ولكنّه حظّي..

- وهل يبتهج أحدهم مثلي لفرحتكِ حين يهزمنا فريقُكِ؟

- الحقيقة؛ لا..

- أعشقُ الزمالك وأنتِ أكثر، أنتظرُ الفوزَ وأتمنّى هزيمتنا حتّى تضحكين فلماذا تطلبين منّي أن أتأمّل فتاةً أخرى؟

- لعلّ فستانها الأسود يأسرك...

- أكثر من شغبكِ وتعلّقكِ بالكلاب وإطعام المساكين ووقوفكِ بجانب أبيكِ في محل البقالة؟ لا أظن؛ هي أنثى وأنتِ حياة.

١٩

يا صغيرتي؛ أنا رجلٌ مُخلصٌ لرفاقِ الدّرب، يعشق الفِكرةَ ولا يَكِلّ من ثوراتِها، يتقاسم خبزَه معهم مهما كثر العدد، أؤمن بأنّ الجماعة أهمّ وأعظم وأبقى من الفرد، أخبرتُكِ بكلّ ما سبق حتّى لا تسأليني مجدّدًا لِمَ لا ألعب الشّطرنج.

٢٠

– أعتـذر عـن وقـت المُكالمـة، أنتظـرُكِ أمـام منزلـكِ، باقـةُ الوردِ والقصيـدةُ وكتـابٌ عـن «ثـورات أشـعلتها نسـاءٌ» بصحبتي..

– الآن! الجو مُمطرٌ وقد يُصيبك مرضٌ..

– لن أكرّر ما قُلتُ..

– أرجوك كفاك جنونًا وغدًا نتحدّث...

– سأصعد وأطرق بابكِ إذن، أعتقد أنه الطابق الثالث..

– إذا فتـح أبي البـاب لـن تـراني مُجـددًا! أسـمع صـوت خطواتِـك! عُـد يـا مختـل!

– اللعنة..!

– ماذا حدث؟

– بسـبب تسرّعـي لم أُحـضر لـكِ صـورةَ «فـيروز وأم كلثـوم وعبـد الوهـاب»، ولا أحمـل المـال حاليًـا، أعتقـد أنّـه لـن يبخـل عـليّ ببضـع جنيهـات...

– من؟!

– أبوكِ! سيقرضني المال! ما بكِ!

– هذا السؤال لك! ما بك أنت؟

– فوضـوي، أنـا عقيـدتي «المجـد للصعالكـة»، فهـل يمنعنـي غضـبُ أبيـكِ واسـتنكار أمّـكِ إن لمحـاني!

٢١

مخبـولٌ بائـسٌ خجـولٌ أنـا، وهـي نقيـضُ كلّ فتـاةٍ رأيتهـا، لذلك تعمّـدتُ أن أكتـب عـلى جـدارٍ أمـام منزلهـا: «أعشـقُ فلسـطين والثّـورة والرّقـص؛ هـل تخرجـين معـي ونعلـن ثورتنـا -أحبُّـكِ- عـلى قبـح العـالم؟».

٢٢

- سأقتحم غرفتَها وأعترفُ لها.

- منزلهم غرفةٌ واحدة ينام الجميع بها!

- لا تسبّها بالفقر!

- قصدتُ تحذيرك من أبيها وعائلتِها! لِمَ تجاهلك للواقع!

- عاشقٌ متمرّدٌ أنا لن تمنعي قيودُ عالمكم البائس! أنت محقّ لن أفعلها هكذا...

- الآن العقل يتحدّث!

- سأطرق بابَ البيتِ وأخبرها أمامهم!

٢٣

وقفتْ أمامي والتمرّدُ إمامي، فقالتْ: أأسيرٌ؟ رددتُ: ثائرٌ. ناورتْ وابتسمتْ حاربتُ وضحكتُ، رمقتني وسخرتْ فسخرّتُ ثقتَي، تُناطِح قمرًا وأُباري كونًا، رحلتْ باكيةً فسقطتُ حزنًا، عادتْ تُغنِّي وغروري يحادثني، الأنثى في إصرارِها وشجاعتي رجلٌ، هي الحياة والموت في قُربي.

٢٤

- المكان خلّاب!

- اليوم المسرح سيعرض مسرحيّتنا المفضّلة..

- كونشيرتو الفوضى! لذلك طلبتَ منّي أن أرتدي فستاني الأزرق؟

- كي تضيفين جمالًا على سحره...

- أعشق جنونَ أفعالكَ!

- حتّى لو أخبرتُكِ بنسياني لتذاكر الدّخول؟

٢٥

تضحــك كصباحــاتِ أكتوبــر، ترقُــص كدُخــانِ ســجائري، تصمــتْ كســكونِ المســاجِد، تفــرح كرحلــةِ ســفرٍ، تتــألّم كثــان جــوخ، تعشــق كــوردةٍ مُهــداه، تنــام كطفلــةٍ جميلــة، تهــرب كعروسٍ مُجــبرة، تتكلــم كحكمــةِ الأجــداد، الكــون انطــوى فيهــا، تخجــل إذا أخبرهــا أحدهــم أنّ عليهــا تتّكــئ الحيــاة، فتبتســم.

٢٦

- ومن سيقيم جِدارَ روحِك؟

- تلك التي ستتقبّل فوضويتي..

- وماذا عن كلّ المسافةِ بينك وبين عالمنا؟

- ستسكنها هي.

٢٧

أخبرَتني أنّي أحلكُ نجمًا في سماء ليلها، واعترَفَتْ بكوّني أبشعَ صباحًا مرّ عليها، تأمّلتْ ملامحَ وجهي وأقسَمَتْ أنّها تطيقُ القهوةَ المُرّة ولا تحتملني، أخرَجتُ كتابًا وناولتُها إيّاه وقبل أن أرحل صَرَختْ باكيةً: كيف أكرهُكَ وتفاصيل عالمي ذابت في فوضاك!

٢٨

- وكيف سيجّمعنا الحُبّ؟

- ليس الحبّ بل الرّقص..

- الرّقصُ؟

- نعـم؛ غجريـةٌ أنـتِ ودرويـشٌ أنـا والرّقـص يجهـل تناقضـاتَ عالميهما.

أغلقـتُ الدفـتر ومعـه كلّ كلـماتي عنهـا، يحيى يبتسـم وأمل يرسـم بقلمـه دائـرةً، أشرتُ إليهـما أنّ هـذا كلّ مـا في الأمـر، أعطـاني يحيـى سـيجارةً وقداحتَـه، أشـعلتُها بالرّغـم مـن كـوني غـيرَ مُدَخِّـنٍ، أدهشـني تطايـر الدُّخـانِ بصحبـة حـروفٍ عربيـة! ضحـك يحيـى حـدّ السُّـعال، هـل صمـتُ أمـل يصيـح بي: «أنـت شـخصٌ يجـب أن يُرجـم رميًـا بروائـع الأدب ويُدفـن بمقابـر الصدقـة؟». الرّجـل لا ينظـر تجاهـي حتّـى، هـدأ يحيـى وسـألني:

- بِمَ تصف عشقك لها؟

- كمعطفٍ علّق حياتَه عليها.

- وشكل علاقتكما؟

- كزهرِ النّردِ فوق رقعةِ الشّطرنج.

هـل استحسـنا كلـماتي؟ أمـل لا يتكلّـم ويحيـى يُكمِـل تشـجيعَه النّبيـل، لا أطيـق خيـول نظـراتِ أمـل، ولـن أقبـل بـدرسٍ جديـد، يعجبنـي حقًـا تعاطفهـما معـي، سـأناور قبـل أن أصبـح أُضحيـةَ عيـد الكلـمات، سأسـمع منهـما أيضًـا، ولِمَ لا؟ الـكلّ هنـا يتحـدّث ويسـمع...

- أمـل، هـل تحدثنـي عـن الفتـاة أو الحـب بالمثـل؟ حتّـى لـو تخيّلـتَ حـوارًا وليـدَ اللحظـة!

- لـك مـا طلبـت، كتبـتُ عنهـا أثنـاء حديثـك: دائـمًا أنـتِ في

المنتصف! أنتِ بيني وبين كتابي، بيني وبين فراشي، بيني وبين هدوئي، وبيني وبين الكلام، ذكرياتُكِ سجني وصوتكِ يجلدني، وأنا بين الشّوارع وحدي، وبين المصابيح وحدي، أتصبّب بالحزن بين قميصي وجلدي، ودمي: قطرة -بين عينيكِ- ليست تجفّ، فامنحيني السّلام! امنحيني السّلام!

بحق القلم من هذا! كتب هذه المعجزة منذ دقائق فقط! الوصف البسيط الذي يغرز نصلَ سيفِ جماله في قلبِك فتموت عشقًا! يحيى بدأ كلامه عن الجوع بقصة قصيرة تضرب بعنق كلّ قصصي، وأمل منذ لحظاتٍ سرق منّي دُمى كلماتي وحرقها، يا الله! أخرجني من تلك الحانة وأقسم لك بألّا ألمسُ قلمًا إلى يوم نُبعث من مرقدنا!

- الولد غرق في بئر كلماتِك يا أمل..!

- لم أقصد يا يحيى، طلب منّي شيئًا فلبيّتُه.

يبدو أنني أضحيةُ عيد الكلمات بلا شك، الإصرار على رفض نصيحتهما لن يغفره لي القلم، انتشلني يحيى من دوامات اليأس...

- سأعتنق عقيدةَ الصراحة يا أنت فهل تقبل؟

- نعم، سأسمع كلّ كلمةٍ حتّى ولو وصمتني بالحقير الذي سيموت حقيرًا مهما حدث...

ـ سأُخبرك بقصةٍ تعكس الفوضى ورفيق الدّرب، على كوبري قصر النّيل كانتْ الواقعة، الشّتاء يضرب بلا رحمة وأمل يرتجف بجانبي، البنات تضحك كراتب أول الشّهر، والولد يتأمّلهم بقلبٍ من رخام، الفوضى تتراقص حولنا، أذكر وقتها كيف ثار قلمي على فكري ورفض أن يرسم الموتَ بإحدى قصصي كما تخبز أمّي، اليأس يبتسم والقدر كذلك، والمطر يتصاعد إلى أعلى رفضًا لمساعدتي، السّماء تسخر منّي وترمي مع المطر سِيَرَ الذين لعنوا الفوضى، لم أشعر بنفسي إلّا وأنا أمسكُ بأمل من فوق الكوبري! أحفظ ملامحه والموت يداعبها، أمل يسبّني ويطلب أن أسحبه إلى أعلى وأنا أسحبُ رُوحَ الموتِ من رُوحِ أمل!

- حقًّا يا أمل؟!

- نعم، سحبني وركضتُ خلفه بطول الكوبري أنهره ضاحكًا..

- تضحك! كنتَ ستصعد إلى السّماء مع المطر!

- معلّقٌ أنا على مشانق الصّباح وجبهتي -بالموت- محنيّة، لأنّي لم أحنها حيّة! يحيى يحبّ الموت وأنا لا أخافه يا أنت..

كاد أن يقتله فقط ليعرف كيف هو الموت! يجسّده ليكتبه، يحفظه ليرسمه، وأنا أظنّني فوضويًا، كتبتُ عنها فقط وعشتُ منها قليل القليل، الموقف بذاته أعطاني مرحلةً

تعليميـةً كاملـة وليـس مجـرّد درسٍ، مـن أنـت يـا يحيـى ومـن إلـه الكلـمات الـذي يجلـس بجانبـك؟! مـا هـذا المـكان، نسـيتُ الوقـتَ ونفـسي والقلـمَ والكتابـة، أنـا يـا الله لا شيء، يحيـى يتكلّـم وأنـا أفهـم بصعوبـة:

- الحكمـة مـن كلامـي يـا أنـت ألّا تكتـب عـن موقـفٍ إلّا وشـعوره رفيقُـك، الخيـال فـرسٌ لجامـه بيـد عقلِـك، لكـنّ الفـارس الحـقّ لا يحـارب عـدوه بقصائـد الحـرب بـل بتعطّـش حُسـامه للدّمـاء، هـذا عـن الفـوضى، أمّـا عـن البنـت، البنـتُ صقـرٌ لا يحـبّ القفـص، لمـاذا دومًـا لـك الكلمـة العُليا أو العاشـق المجنـون؟ وكيـف لفوضـويٍ أن يحـبّ فتـاةً لا تشـاركه نفـس جنونـه؟ كلّ كلماتِـك تصفهـا بالمنسـحبة التـي شـكرتْ خالقهـا عـلى وجـودك، نعـم أنـت نعمـةٌ في بحـر خيباتِهـا لكـن أيـن شـخصيتها؟ تصبـغ عليهـا بصبغتـين؛ «البنـت الرّقيقـة الخائفـة» أو «البنـت التـي لابـدّ أن تحبّنـي ولكنّهـا وضيعـة حقـيرة ركلـتْ ولهـي بعيـدًا».. مـا قولـك يـا أمـل؟

- وُلِـدتْ الحقيقـة مـن رحـم رأيـك يـا يحيـى، يـا أنـت نحـن نقصـد أن تكـون رجـلَ الحمايـة والعاطفـة والحُـبّ والاكتفـاء، وأيضًـا لا تنـس أنّـك لـن تقـوى عـلى نقـل الخطـوة إن فاتـك سـندها! ابحـث عـن حبيبتـك داخـل أزقّـة رُوحِـك ثـمّ تتبّعهـا بالواقـع...

تأهّبا للمغادرة، السّلام في رحيلهما لرُوحي وعليها السّلام ممّا شهدته معي، بحركاتٍ ثلاث فهم النّادل أنّ حسابي سيدفعه يحيى، حاولتُ الرّفض لكنّهما رحلا، السّاعة الخامسة عصرًا ولن أجلس بهذه الحانة حتّى اللّيل، اللّيلُ يُجبر الضّعفاء على التعرّي من أجل البُكاء، هممتُ بالرّحيل قبل أن يظهر لي النّادل ويطالبني بما احتسيته مع غسّان، أخذ الخمسين جُنيهًا، الآن أنا مفلسٌ تمامًا، مفلسُ المال والموهبة.

الرقصةُ الثالثة

(الوطن)

«خبزُ الوطنِ خيرٌ من كعكِ الغُربَة».

فولتير

هجـرتُ أرضَ الحانـةِ إلى الأبـد، نعـم تعلّمـتُ مـن مُريديهـا، وكرهـتُ قلمـي وتخاريفـه، شـوارع وسـطِ البلـد وجمالهـا الأخَّـاذ، وجهتـي؟ لا أعلـم، سأسـير حتّـى منـزلي وأنـام، وأتمنّـى ألّا أشـهد صباحًـا آخـر، ولِمَ يحتـاج العـالم إلى قمـيء وحيـدٍ بائـسٍ مثـلي؟ إذا كان هـذا الكـون ماكينـةً ضخمـة فأنـا الـترسُ الـذي سـتقوم بـه أو بدونـه! خيبـات حيـاتي لا تُعـدّ ولا تُحـصى ولكـن يمكـن اختصارهـا في: «القلـم رفيقـي». وهـذه داهيـةٌ بمفردهـا.

أثنـاء شرودي لم ألحـظ هـذا الرّجـل الـذي جعـل الرّصيـف مقعـدًا يشـكو إليـه، شـعرتُ بـه بعدمـا صـاح: «لعنـة زيـوس عليـك أيّهـا الآدمـي القـذر!».

- أنا آسف لم أقصد..

- أتركلني كما الحجارة وتعتذر!

- أعتذر لك مرّةً أخرى يا سيّد....

تخطيّتُـه، لا وقـت للصّفـح والغُفـران، غفـرتَ أم لا فلتذهـب إلى جحيـم الـكلاب، تعجبـتُ مـن هيئتـه؛ ليسـتْ مزريـة، لِمَ الرصيـف إذًا؟ لا يهـم، حتّـى لـو جلسـتَ كيـوم ولدتَـك أمّـك لـن أهتـمّ، خطـوات قليلـة وصـوتُ نحيـبٍ يهاجـم أذنيّ، لا يهـم، مـرتْ بجانبـي هـذه السّـيدة العجـوز وقالـتْ: «أيـن الرحمـة؟ رجـل عجـوزٌ يبكـي ولا يسـاعده أحدهـم..!». ثـم خطـت إلى الناحيـة الأخـرى! الفضـول لا يقتلنـي ولكـن لنـر مـن الباكـي

بالرّغـم مـن ثقتـي أنّـه هـذا الرّجـل الـذي خبطتـه بـدون قصـدٍ، نعـم تخمـين موفـق، هـو، ربحـتَ معنـا غريبًـا يبكـي ومواقـف الحُـزنِ تربـت عـلى كتفـه، رجعـتُ إليـه:

- سيدي هل كل هذا بسبب تصرّفي الأحمق؟

- وهل تعتقد أنّني قد أبكي بسببك؟ المصيبة أعظم...

رجـلٌ عجـوزٌ يتّخـذ مـن الحجـارة سـندًا وأنـا لا أهتـم..! تـرس التأنسـن بداخـلي مـا زال يعمـل، جلسـتُ بجانبـه، سأسـمع منـك مهـما كانـت مصيبتـك حتّـى ولـو أخبرتنـي بأنّـك لا تتذكّـر أيـن وضعـتَ سلسـلة مفاتيحـك...

- أتمانع أن أشاركك مع الرّصيف لحظات جزعك؟

- لا.

- حسنًا، ماذا أصابك؟

أشـعث، شـعره أبيـض ويرتـدي نظّـارةً طبيّـة، أنيـق ورائحـة عطـره مثاليـة لدرجـة لا توصـف، هـل يضـع هـذا الرّجـل بحـرًا؟ الرّائحـة تسـحر حقًـا، انتظـرتُ حتّـى هـدأ وبـدأ يُنظـم كلماتَـه:

- اليوم ماتت أجمل امرأة في الوجود.

- زوجتك؟

- أمّـي، كانـت أجمـل امـرأة في هـذا العـالم، تنظـر إلى مرآتهـا فيتصـدّر وجههـا الباهـر، ليسـكب عليهـا مـن لمعانـه بريقًـا مـن السّـحر، فأسـمع صـوت جـدّي يقـول: «هـذه أمّـك محـور كلّ شيء».

كلـماتٌ تذيـب جليـد القسـوة! ماتـتْ أمّـه، السّـماء لـن تسـمعه ولـن ترفـق بحالـه، ماتـت أمّـي وأنـا بالسّـابعة عـشر، لابـدّ أن سـيفَ الحـزنِ شـطر قلبـه عـن قلبـي، الخسـارة واحـدة ولكـن الوقـت الـذي قضينـاه معهـما لم يكـن المثـل، ابـك يـا هـذا ولا تتوقّـف؛ ماتـت حياتـك وسـتقضي أيامـك مُشـتّتًا باكيًـا شـائهًا حزينًـا مـتردّدًا منعـزلًا..

- عندمـا هاجمنـا الدائنـون باعـت أمّـي «أركيليـا» الجميلـة كلّ مجوهراتهـا، أركيليـا كانـت تتزيّـن بمحـارات ونجـوم البحـر وأنـا أبكـي لأغنياتهـا الحزينـة وابتسـامتها الأبيّـة وقتهـا، لا يمكننـي السّـيطرة عـلى مـا أشـعر بـه، قلبـي يتفتّـت وجسـدي يؤلمنـي، كأنّنـي سـأصاب بالحمـى..

- أعهـد جيـدًا مـدى هشاشـة روحِـك الآن، مـا رأيـك أن نبحـث عـن مـكانٍ أو ندخـل تلـك الحانـة اللعينـة ونتحـدّث بـدلًا مـن الرّصيـف؟

- لا، لا يــا فتــى، كنــتُ بهــا ولم أتحمّــل كلامهــم، أردتُ أن يســمعني أحدهــم ولكــن الجميــع مهمــوم بــما يلاحقــه...

- لنكمل حديثنا هنا إذًا، عفوًا لم أعرف اسمَك؟

- أنا قسطنطين.. أو يمكنك أن تدعوني كفافي.

- مصري؟

- يوناني ولدتُ بالإسكندرية...

- عظيــم! أســتاذ كفــافي أنــا قصــدتُ تلــك الحانــة لأنّنــي وحيــدٌ وأكتــب بعــض الخواطــر ووددتُ لــو يســمعها بائــسٌ غــير غُرفتــي وورقــي ولم أجــد مكانًــا غيرهــا...

- لــن تجــد أماكــنَ أخــرى، وبحــارًا أخــرى، فالمدينــة ســتتبعك، وســتمشي في نفــس الشّــوارع، وفي نفــس المناطــق تشــيخ، وفي نفــس هــذه البيــوت ترقــب نفسَــك وأنــت تشــيب، وســتنتهي دائــمًا إلى هــذه المدينــة، فــلا تتطلّــع إلى شيء في مــكان آخــر، فطالمــا خربــت حياتــك هنــا، في هــذا الرّكــن الصّغــير، فقــد دمّرتهــا في كلّ مــكان مــن العــالم...

- معك كلّ الحق!

- اسـمعني، سـأكون أنـا بحـرك يـا صغـيري، لأنّـك الوحيـد الـذي جلـس كـي يسـمع منّـي افـش أسرارك كلّهـا عـن الوطن...

كلماتـه كمـن سـبقوه الحيـاة والخـبرة جـادا عليـه بالكثـير هـذه المـرّة سـأتقبّل منـه أيّ درسٍ مهـما كان، نصائحـه سـتزيد مـاءَ نهـر معرفتـي...

- فليكن يا أستاذي..

وفتحتُ الدفتر....

١

كان أبي ينشر البحر عطرًا فتحبه أمّي أكثر، كانتْ أمّي تخبز النّجوم ويأكل أبي ضوءَ ما صنعتْ فتحبّه أمّي أكثر، كانتْ جدّتي تحكي للقمر قصصَ العاشقين، فيهبط على الأرض ويعطي لأبي تاجَ المجرّات فيزيّن رأس أمّي به لتحبّه أمّي أكثر، كانتْ أختي تصنع لي من حرير ابتسامات البنت قميصًا فيضحك أبي فتحبه أمّي أكثر، لكن إذا تمكّن منّي المرضُ يومًا؛ تحزن أمّي وتكره أبي والقمر وجدّتي والفتيات وتاج المجرّات وقميصي والبحر والخبز، وتحبّني أنا أكثر.

٢

- وكيف ماتت أمّك؟

- وهـــي تــزرع أشــجارَ الزيتــون، اغتصــب أرضَ جســدِها رصــاصُ المــرضِ الجبــان..

- وماذا فعل أبوك؟

- زرع شجرةً يدعوها»أُميمة»، يسقيها ماءً ودعاءً كل يومٍ..

- وأنت؟

- عرفتُ أن الوطن يتضاءل برحيل «الكون».

- وهل يرحل الكون؟!

- عندمــا رحلــتْ أمّــي صــار الكــون عدمًــا، الوقــت عدمًــا، الحُــب عدمًــا..

- تقصد كلّ شيءٍ؟

- لا، شــجرتها ومقعدهــا وكلّ طفــلٍ كانــتْ تعطــف عليــه شــكَّلوا الوجــود حــولي..

- وحبيبتك؟

- تقنعنـي بأنّهـا وطنـي وهـي لا تعلـم أنّ ابتسـامتها فقـط عنـوان شرودي.

٣

أخـبرتُ حبيبتـي برغبتـي للقـاء ياسـمين وجههـا، كانـتْ تواقـةً لمعرفــة المفاجــأة التــي وعدتُهــا بهــا، تقابلنــا وقبــل أن نتحــدث تعجّبــتْ مــن لــون شَـعري الجديـد! تسـاءلت بنـبرةٍ مرتبكـة: «لِمَ بيــاض الثلــج بالتحديــد؟». ابتســمتُ قائــلًا: «أردتُ أن أصــير عظيــمًا حكيــمًا مثــل أبي».

٤

- يتيمٌ أنا، والدي قتله الفقر، لا أتذكّر ملامحه.

- وأنـا أيضًـا، لكنـي أدركـتُ أبي لسـنواتٍ قبـل أن يرافـق مـلاكَ الموت.

- حدَّثني عن الأب..

- هـو ذلـك البطـل الـذي تعشـقه قريتـه الفقـيرة ويحـارب لأجلهـا، البطـل الـذي يُسـاعد الصغـار بالشّـوارع مُحـرّرًا طائراتهم الورقيـة مـن فـخ الأشـجار، سـاعي البريـد الـذي يقـرأ الرّسـائل لمـن ضَعُـف نظرهـم أو يجهلـون القـراءة والكتابـة، الرّجـل الوحيد الأعـزل الـذي قـد يقـف أمـام جيـوش الخـوف واليـأس حتـى يهزمهـم فننـام هانئـين، هـو سـقف البيـت، دفء بشـتاءٍ قـارس، رفيـق الـدّرب، عـرق الـرّزق، بهجـة الهدايـا، جـدار القـوّة، كتـف البُـكاء، ابتسـامة العـين..

- رحمهما الله..

- ولنا بالمِثل.

٥

جـدِّي كان يعـرف جيّـدًا كيـف يمنـع أبي مـن معاقبتـي، جـدتي كانــت تخــبر أمّــي بصــور العقــاب المختلفــة كرقائــق الــذّرة والعصائـر الطّازجـة وحضـن المسـاء وقصـص مـا قبـل النـوم، ذهبـوا جميعًـا وتركـوني أواجـه خيبـات قـراراتي وكأنّي أحمـل عـلى كتفــي العــالم بــأسره.

٦

- سنختبئ هنا يا صغيرتي.

- لعنة الله على الاحتلال وجنوده!

- اليوم فقط عشقتُه..

- أتحب من فرّق بينكَ وبين الوطن؟

- وقد جمعني به الآن.

٧

كتبتُ روايةً عن الوطن، نَظم صديقي الشّاعر قصيدةً بالمثل، شاركنا زميلنا الرسّام بلوحةٍ تُلامس سِحرَ جمالِ ترابها، عزفتْ صديقتنا على الكمان ترنيمةً رتّل الفؤاد خلفها آيات حُبِ الأرض، ثم وقفنا كلّنا شاردين أمام جدّتي حين تساءلت: «أيّكم أنفع للنّاس وعبَّر لهم عن الوطن؟».

٨

- لِمَ كلّ هذا العِشق لرائحة بارود بندقيتي؟

- لأنّها تذكِّرني بوجودك على الجبهة من أجلنا..

- أنا هناك لأجلكِ.

- والوطن؟!

- أنتِ الوطن يا أنشودة الحُرية والثورة.

٩

وقَفَتْ أمامي وطلبتْ أن أُخبرها ببعض حماقاتي السّاحرة، وأن أهديها باقةً من الورود الرّخيصة التي لم تذبل بعد، تَمَنّتْ لو أُراقصها أو أدوّن متى تلاقينا على جدارٍ بفلسطين، ولما طفح كيلُها اعترَفَتْ بصوتٍ خفيضٍ: «سأقبل منك أيّ شيء». فأمسكتُ برسغ ذراعها الأيسر وكتبتُ : «أنتِ كلّ كلمات العِشق، كلّ أزهار عالمنا، كلّ أناشيد الثورة، كلّ حدود الوطن؛ أنتِ كلّ شيء».

١٠

- التلويحة الأخيرة قبل الفُراق؟

- الجندي مودِّعًا أهله..

- الأنشودة الأبدية؟

- أم كلثوم..

- الغُربة؟

- أنا وفوضويتي وأفكاري بين صفحات هذا العالم.

- البساطة؟

- بسمةُ أمّي.

- الوطن؟

- هي.

١١

كان أبي يبيـع اللّيـلَ للخائفـين، وتجلـس أمّـي بجانبـي وتدثّـرني بقمـرٍ وابتسـامات يتيـمٍ، جـدّي رأيتُـه يطلـب مـن الشّـمسِ قداحةً ليُشـعل سـيجارته، كلّهـم كانـوا أسـاطير إلّا جـدتي؛ كانـت تحكـي القصـص للنّجـومِ وهـي تغـزل مـن البحـرِ قفّـازًا يمكِّـن الحـبَ مـن تعطيـل الزمـنَ؛ فنعيـش كلّنـا لوقـتٍ أطـول.

١٢

- وحـين يحدِّثـك أحدهـم عـن «الثّـورة»؛ كيف تصـف شرودك وقتها ؟

- كشـعور جـدّتي عندمـا تخبرنـا بشـجرة الياسـمين التـي تظلّـل بيتَهـا القديـم بفلسـطين.

١٣

لم يعـد يُضحكنـي المُهـرّجُ يـا أبي، كيـف تُصـدَّق تلـك الابتسـامة الزّائفـة المرسـومة؟ رأيتُـه البارحـة يقـرأ رسـائلَ باكيًـا قبـل أن يصعـد إلينـا، ولا أعـرف لمـاذا لم تُشـاهد العـرض معـي؟ كعادتـك تصطحبنـي وأتابعـه بُمفـردي! أمّـي لم تفعـل ذلـك قبـل وفاتهـا! ثـم أنّنـي أجهـل حتّـى تلـك اللّحظـة مهنتَـك يـا أبي؟!

١٤

- أعطونا يا جدّتي سلاحًا آمرين كلّ الرفاقِ بحماية الوطن..

- وماذا فعلتم؟

- أرضُها وافقتْ، بحرُها ابتسم بخبثٍ، الخبزُ كره اِنتظاره على الضفّةِ الأُخرى، وأنا بكيتُ لبُكاء السّماء.

١٥

أنا لا أحمل صورةً لكِ يا أمّي، لذلك كلّما هُدِمَ جدار روحي؛ أُطعم الطّيورَ والفقراء وأنتظرُ حتّى أنام كي أراكِ، فنتحدث عن الفُراق والحُزن وكيف اعترف أبي بعشقه.

١٦

- ستنتهي الحرب، سيُزهِر الرّيحان في بستان حديقتنا، سنركُض خلف الفراشات حتى نسقط ضاحكين، ستغزلين لي قميصًا من حرير ابتسامتكِ، عليكِ ستتكئ الحياة، سأُخبرُكِ بكلّ قصص جدّتي وكيف عشَقَتْ جدّي وهي تُسعف مُصابي العدوان، كوني بخير لأجلي ريثما نتقابل في فِردوس الرّحيم...

- ما اسم الشّهيدة حتى أدوّنه على شاهد قبرها؟

- ياسمين القلب ومِسك العُمر وروح الجسد وشمس فلسطين.

١٧

كتبتُ رسالةً إلى الله أشكو يأسي، ثم مزّقتها عندما تذكّرتُ أمّي حين أخبرتني: «ستجده في دعاء الفقراء لك، بسمة كلّ يتيمٍ ساعدته وبكاء طفلٍ فقد والدته». فبكيتُ إلى الله لعلّه يُعيد أمّي للحياة.

١٨

- أخبرَتني جدّتي أنّ أزهار الياسمين تحمل بداخلها أرواح الشُّهداء، وهدير البحر هو صوتهم إذا ما أرادوا إخبارُنا برسائلٍ تعينُنا على الفُراق..

- وأين جدّتكَ الآن؟

- هي تلك النّجمة البرّاقة التي تجاور القمر وتضيء معه ليل المُشتاقين لمن سبقوهم.

١٩

يـا الله، رأيـت فيـما يـرى النّائـم أنّ الجبـال تبكـي دمـاءً، الأرض تبـث ورودًا يعلوهـا الشّـوك بـلا رائحـة ولا جمـالٍ، النّـاس تترنـح كالسُـكارى لا يفقهـون كيـف صـارت السّـماء شـواهدَ قبـور، أجنحـة الطّـير مثخنـة بطلقـات بنـادق المسـاجين، الجنـود تدثّـروا بـتراب الوطـن آملـين أن تدهسـهم أقـدام الهاربـين فتحيطهـم هالـة الشّـهادة، ورأيتنـي أقـف يـا مـن بيـده الملـك رافعًـا علـم فلسـطين صارخًـا: سـنهرب عـلى هنـاك، سـنقصد أرض الله. فركـض تجاهـي طفـلٌ مسـتفسرًا: «هـل سـنجد هنـاك الكثـير مـن الدُمـى؟ قـد مللـتُ البـؤسَ وأريـد أن ألعـب حتـى تغلبنـي ملائكـة النّـوم».

٢٠

- رائحةُ بارود البنادقِ أم عِطْره الأسباني؟

- رائحةُ فُراقه وقتما أخبرنا جميعًا أنّه سيعود..

- فرّقتكم الحرب.

- وسيجمعنا خبزُ الأملِ على مائدةِ الوطنِ من جديد.

٢١

يــا الله، وجدتُــك في جمــالِ ضحكــة أُمّــي ودعــاء قلبِهــا، في انحنــاءة ظهــرِ أبي حــين يُلقــي السّــلامَ عــلى إمــام المســجد، في بهجــة تلــك الغزالــة وهــي تركــض خلــف صغيرهــا، في نظــرات هــذا الطّفــل الصّامــد أمــام بنــادق المُحتــل، في ســحر كلّ وردةٍ نثــرت عبيرهــا فهــام العابــرون عِشــقًا، في صرخــة المولــود عندمــا يُعلــن عــن خروجــه مــن ظُلمــةٍ إلي ظُلــمات، فمتــى جــلّ جلالــك أعهــد السّــبيل إلى دواخــل الــرّوح و أُدرِكُ رســالتي.

٢٢

- لا تُحدّثني عن الثّورة؛ أمّي أخبرتني بقصص النّضال وكلّ شهيدٍ وهب شجرةَ حياتِه ليثمر وطنًا..

- وماذا عن والدك؟

- ذهب إلى الجبهة يحمل بندقيةً ومجدَ الرّجال وقصائدَ شعرٍ سيكملها حين تنتهي الحرب...

- وهل عاد؟

- تسلّمتُ وصيتَه وقصيدةً وحيدةً اسمها «أنت رجلُ البيت الآن».

٢٣

رأيــتُ ثــوّارًا يرســمون عــلى جــدران المدينــةِ وردةً تحملهــا فتــاةٌ باكيــة، أخبرتنــي حبيبتــي بمــدى حُبهــا لرقصــة التانجــو، قُتِــلَ طفــلٌ برصــاص الجنــود فخرجــتْ روحــه كفراشــةٍ زرقــاء يُلاطفهــا الربيــع، ســيرةُ الخائفــين مــن فــوضى التمــرُد ســيرويها مُلثــمٌ إلى جدّتــه كــي يُضحكهــا وهــي تعــد الخبــز للرّفــاق، كلّ مــا ســبق وجدتــه منقوشًــا عــلى ذراع مصــابٍ يرتــل وصيتــه الأخــيرة، ولا عجــب أنّــه كتــب عــلى حقيبتــه: «الوطــن هــي، والثّــورة هــي، وأنــا الجنــدي الــذي عشــق متمــرّدةً تكــره الحكومــة».

- أحسنتَ يا صغيري.

- هل راق لك الكلام؟

- نعـم، يعجبنـي كيـف جسّـدتَ الوطـن في عـدة صـور، وطنـي الإسـكندرية، أعلـم أنّهـا محافظـة ولكنّـي أتّخذهـا وطنًـا.

هـل يجـب أن أبتهـج؟ منـذ الصبـاح وأنـا يخبطنـي قطـارٌ سـائقه أعمـى، اعـترف أحدهـم بجـودة مـا أكتبـه، أنـا سـعيد، عندمـا يهـلّ القمـر سـأرقص معـه، سـأطلب مـن نجومـه أن تعـزف لنـا عـلى أوتـار ابتسـامة فتـاةٍ اعـترف لهـا حبيبهـا، شُـكرًا يـا الله، وقف كفـافي فجـأةً وبـدأ يتحـرك بـدون كلمـةٍ واحـدة!

- انتظر يا أستاذ كفافي! إلى أين؟

- الإسكندرية.

- محطّـة النقـل العـام بالقـرب منّـا، يمكننـي مرافقتـك إلى هنـاك..

- لا، سـأرجع إلى منـزلي سـيرًا عـلى الأقـدام لعـلّ تعبـي يُنهـك روحـي فتمـوت هـي الأخـرى..

المسـكين يريـد العـودة موتًـا، لابـد أن أسـاعده، فكّـر يـا أكثـر النـاس حماقـةً، نعـم نعـم، سـأطلب منـه رأيـه ونصائحـه فيـما كتبتُـه وإذا أراد يمكننـا الحديـث عـن ذكرياتـه بالمثـل، لا يعقـل أن يترجـل أحدهـم مئـات الكيلومـترات وهـو بهـذا العُمـر، العجـوز فقـد عقلـه وحياتـه وينبـض خيبـات وحزنًـا...

- أستاذ كفافي، أثناء سيرنا إلى الإسكندرية هل لي ببعض نصائحك عمّا كتبتُه؟

- قُل لي يا ولد، لِمَ رسم الفراقُ لوحتكما الأخيرة؟

- مع أنّني أتعجّب كيف فطنتَ إلى ذلك! ولكن يمكنني وصفها كأغنيةٍ تعبر الطريقَ راقصةً كانت، وكأصَمٍّ يجهل آلاء الحياة كنتُ...

- ما يعجبني في كلامك عن الفتاة هو ربطها بالوطن والثّورة ولكنّي افتقدتُ في كلماتك الحُب والشّهوة، أين القُبلات المُختلسة في أروقة السّلالم والسّفن؟ الشّهوة مثل الأجساد الجميلة لمن ماتوا قبل الشّيخوخة المدفونة - في حزن- في قبر فخيم، الورود عند الرّأس، والياسمين عند الأقدام، هكذا تبدو الشّهوات التي مضت، دون إشباع، ما من واحدة منها قد عرفت ليلة من المتعة الحسيّة، أو أحد صباحاتها البهيّة، لا تخف، أُكتب عن كلّ شيء في الحب ولا تنس العطر الجنسي، العفّة محبوبة أنا أفهم، ولكن البهجة في تلك اللذّات يا صغيري، بهجة حياتي وجوهرها؛ ذكرى تلك السّاعات التي عثرتُ فيها على اللذّة المثيرة ونلتها كما اشتهيت. بهجة حياتي وجوهرها؛ أنّني رفضتُ الانغماس في الغراميات الروتينيّة.

نصيحـةٌ قاتلـة! لم أفكّـر مـن قبـل في الكتابـة عـن المتـع اللّحظيـة والجسـديّة، الرّجـل يتحـدث صدقًـا، نعـم كتبـتُ عـن كلّ شيءٍ مـن الغـزل ومراحـل الحـب والهجـر ولكنّـي لم أقـرب الشّـهوة! حتّـى ولـو ذكرتُهـا في سـطرين هـذا لـن يـضر، لـن أصبـغ كتابـاتي بالجنـس ولكـن قليـلًا مـن بهاراتـه سيكسـب خلطتـي مذاقًـا...

- وماذا عمّا ذكرته بخصوص الأب؟

- أعطيتَـه أكسـير الحكمـة والنبـل، حـاول أن تتخيّلـه أنانيًـا لا يحبـك أو تـرك الأسرة ورحـل خلـف راقصـةٍ، أنـت تحبّـه ولكـن يجـب أن تفصـل الواقـع عـن خيـالات القلـم، كتاباتـك تظهـر شـخوصك مثاليـة لا تخطـيء، هـم بـشرٌ يـا صغـيري، حتّـى ولـو كان والـدك مـلاكًا، الملائكـة قـد تُذنـب...

لطالمـا تسـاءلت هـل أدّعـي المثاليـة وأنّنـي نبـي هذا العـصر؟ أبي لا يسـتحق وصمـه بالعـار، ولكن مهـلًا! أنـا لا أكتب عـن أبي، من تلـك اللّحظـة سـأعبّر عـن كلّ دروب النفـس في شـتّى الصّـور، لـن أضـع أصدقائـي عـلى الـورق بشـخصياتهم الواقعيـة، رفـاق دربي تـارة نبـلاء وتـارة أخـرى الغـدر حليفهـم، حبيبتـي اليـوم وفيـة وغـدًا خائنـة، أبي الآن يضمنـي وبعـد قليـل سـيركلني...

- أعتـذر عـن فضـولي ولكنّـي أرى فيـك المُعلّـم الـذي يصيـب كالقنّـاص، فهـل تطلـق رصاصتـك عـن الوطـن؟

- فلسطين؟

- لماذا تلك الإجابة؟

- وطنُـك يـا صغـيري يقـع بـين الفتـاة وفلسـطين، لم يخـرج مـن جعبتِـك سـهمٌ عـن الوطـن، الوطـن الـذي تعيـش فيـه وولـدتُ به ورزقـك منـه.

- إذا كنتُ ترى ذلك عيبًا فلِمَ لا ترجع إلى اليونان؟!

- لأنّنـي ولـدتُ هنـا بالإسـكندرية، فكانـت الإسـكندرية وطنـي الـذي نشـأتُ بـه، أتذكّر يـوم ميـلادي، وجههـا، أول مـرة أراه فيها، الحـب والأمـل والحنـان البالـغ، نظـرة عينيهـا الرائقتـين، ابتسـامتها أكثـر شيء سـاحر رأيتـه في حيـاتي، وجـه أمّـي؛ وطنـي الأول، ثـم وطنـي الثـاني؛ الإسـكندرية. أنـا لا أعيـب حبَّـك لفلسـطين لكـن أيـن حـب وطنـك الأصـلي يـا فتـى؟

وطنـي بـين الفتـاة وفلسـطين، تخيلـتُ المسـافة فبكـى عقـلي، نعـم أنـا مـصريٌ يـرى أنّ وطنـه فلسـطين، أعشـق الأرض والقلـب هنـاك، وطنـي هـي، وطنـي أبي وأمّـي الكـون كلّـه، هـذا الرّجـل نصائحـه ترياقٌ يعـرف كيـف يقتـل الوجـع، سـفينةٌ سـتبحر بـك إلى مرسـى الطمأنينـة، شـعلةٌ تـضيء دربَ جهلِـك، لـن أسـأله عـن الأم؛ أعتقـد أنّ مسـعانا واحـدٌ، الطريـق ثالثُنـا، الصّمـتُ رابعُنـا، الـشّرود خامسُـنا. اقتربـتْ سـيارةٌ بيضـاء طويلـة وواكبـتْ خطواتَنـا، رمقهـا بطـرف عينيـه ثـم ابتسـم لي قائـلًا:

- سـنوات شـبابي وحيـاتي المثـيرة، بـأيّ وضـوح أرى معناهـا

الآن، النّدم، كم هو عبثي، وبلا جدوى، لكنّني لم أدرك المعنى آنذاك، في الحياة المسترخية في شبابي، اتّخذت مقاصد شعري شكلها، وأرسيت حدود فنّي، ذلك هو السّبب في أنّ ندمي لم يكن ثابتًا، وأنّ قراراتي بكبح نفسي، بالتغيير، لم تدم إلّا أسبوعين على الأكثر..

- لا أفهم ما تعنيه يا أستاذي؟ وعن أيّ شِعرٍ تتحدث؟ هل أنت شاعرٌ؟؟

- سيمجّد بحر إسكندرية اسمي حين تتساقط نجوم السّماء وتحكي للنّاس عن أركيليا التي صعدت إليهم فلم يقو على سناها وجمالها معهم بالأعلى، وقتها البحر سينسحب إلى اليابسة ويترك مكانه فارغًا لتحلّ محلّه قصائدي...

ركب السّيارة ولوّح لي صائحًا: «رحلتُك لم تبدأ بعد يا صغيري، القلم ما زال يشاكسك حتّى تتمكّن منه فيصير عبدًا يهاب سيّده، أُكتب عن كلّ شيءٍ ولا تخف، سأكون بجانبك دومًا»...

ورحل عن عالمنا، دوَّنتُ كلّ كلمةٍ قالها في دفتري، حتّى اسمه، من أنت يا كفافي؟!

الرّقصةُ الأخيرة

(الكِتابُ والعُزلة)

«القـراءة تعويـضٌ كاف عـن كلّ الأشـخاص الذيـن لم نقابلهـم في حياتنا».

سهام العبودي

أكملتُ سيري وحيدًا، الوحدة من رفاق دربي لذا لا أكرهها، وجوه النّاس، كلّ وجهٍ يحتوي على حكايةٍ يرويها بصمت، أعشق تلك اللّعبة حين أحاول قراءة كتاب معالمهم، هذه فتاةٌ تمرّدتْ، هذا صبيّ اختلس من أبيه بضع جنيهات وركض ليلحق بأصدقائه، ذاك العجوز يندم على قراره عندما ترك وظيفته وجلس بالمنزل، هذه الأم تفكّر كيف تساعد زوجها وتسدّد معه قسطَ السّيارة، وهذه فتاةٌ صغيرة تبكي!

اقتربتُ منها وتعجبتُ من البشر، كلّهم يمرون بجانبها وكأنّها تستجدي منهم ملاليم مواساة! اللّهمَّ قُدرةً كي أجعلها تهدأ، جميلةٌ وصغيرة لم تتجاوز الخمسين سنتيمترًا، سبب البُكاء بدأ ينجلي بوضوح...

- أتبكين الوردة يا صغيرتي؟

- نعم، لماذا ماتت؟

- يا صغيرتي، كفاكِ حزنًا عليها، تأمّلي ذاتكِ في المرآة وستدركين أنّها فارقتْ الحياة خجلًا من ياسمين جمالكِ...

من الواضح أنّها لم تفهم ما قصدتُه، البُكاء يزداد والجميع يحتقرني، هل ظنّ أحدُهم أنّها ابنتي!

- لكلّ أولئك الذين أحبونا ولم نحبهم كما ينبغي؛ سلامًا طيّبًا ووردة، تعالي يا صغيرتي...

جملـةٌ ظهـرتْ مـن العـدم كصاحبتِهـا، ومـا لا أفهمـه كيـف توقّفـتْ الصغـيرة عـن البُـكاء ومـا سر ضحكتهـا، ملامـحُ السـيدةِ تـأسركْا الهـدوء والحكمـة، الشَّـعر الرّمـادي القصـير ونظّارتُهـا الطبيّـة الرّقيقـة مثلهـا، ابتسـامةٌ تخطـف القمـر وتخفيـه حتّـى تنتهـي، أعطـتْ للفتـاة وردةً جديـدة حمـراء، استنشـقتُ عبيرَهـا مـن مـكاني! لم تحملهـا بـل جثـتْ عـلى ركبتيهـا وبـدأتْ تمشّـط لهـا شـعرها، النّـاس ينظـرون إلى تلـك اللّوحـة الرّائعـة ويبتسـمون، الصّغـيرة لا تتمـرّد عليهـا نهائيًـا، قبَّلـتْ مقدمـةَ رأسِـها وطلبـتْ منهـا أن تذهـب إلى المنـزل..

- الأطفـال ونقـاء طبيعتِهـم، الصّغـيرة تبكـي الـوردة لأنّهـا ماتـت، ومـع ذلـك حـين رأتْ وردةً جديـدة نسـت تمامًـا، وكأنّ المـوت أحيـى القديمـة مـن أجلهـا!

- نعـم، المُذهـل أنّهـا لم تنظـر إلى القديمـة مـرةً أخـرى، وزارتهـا البهجـةُ مُجـدّدًا، طبيعـة الأم ومقولتُـكِ الرّائعـة، شُـكرًا لـكِ...

- العفو، سأذهب إلى المكتبة يا صغيري، تشرّفتُ بمعرفتك..

- الشّرف لي...

ثوان قليلة ولم أشعر بنفسي إلّا وأنا أقول لها:

- هـل يمكننـي مُرافقتـكِ؟ أبحـثُ أنـا أيضًـا عـن كتـابٍ، أرجو ألّا ترفضي!

- إذن وجهتنا واحدة! فلنذهب ونرى ما سنجده.

خطواتُها خفيفة للغاية، كلّ خطوةٍ تترك خلفها أزهارًا، كلّما لامستْ قدمٌ سطحَ الأرض تنبتْ وردةً، روحُها تنشر عبيرَ البساتين حولنا، لا تتوقف عن تلك الابتسامة المِسكية، لِمَ طلبتُ مرافقتها إلى المكتبة؟ لا أعرف! يكفيني كرم موافقتِها، المكتبة تلوح لنا، هذه أول مرّة ألمحُ تلك المكتبة بوسط البلد!

- مكتبة السّيدة راء؟

- نعم..

- ومن السّيدة راء؟

- أنا، أو يمكنك أن تدعوني رضوى إذا أردتَ..

- أها! عفوًا يا أستاذة رضوى، هل هذه المكتبة جديدة؟

- لا، لابد أنّك كنتَ ترى ما يمليه عليك الواقع فقط، تعال، سندخل ونجلس ونتحدّث ونقرأ أيضًا...

فتحتُ لها الباب ودخلتُ بعدها، يا إلهي! أشجار الزّيتون تظلّل هذا الكنز، المكان تفوح منه رائحة الكتبِ ممزوجة بالورد، لا أرفف، الكتب تستند على الحروف! الحقيقة تستند على حرفين؛ الرّاء والعين، هناك المزيد! ألمحُ الميمَ والباء، وبجانبي التّاء والباء مجدّدًا، حروفٌ تحمل تاريخًا، لا أرى نهايةً للمكتبة! سمعتُها تسأل:

- سأعدّ القهوة فهل تشرب معي؟

- بالطبع، قهوة تركية بدون سكر ستفي بالغرض..

- وهو كذلك..

أأتنفس ياسمينًا؟ الهواء هنا ليس عاديًا بالمرة، الرّاحة النفسية تشعرني بالنُعاس، القهوة ستعيد إليّ النّشاط من جديد، ها هي، القهوة بفنجانٍ على هيئة عدسة كاميرا؟ كأنّها تريدني أن أحتسي لقطاتَ حكاياتي، تجلس، تتذوق ما صنعتْ وعلامات الاستحسان ترقص على وجهها، تبتسم وتشرب، تعمّدتُ ألّا أشرب قبلها كي أُراقب رد فعلها...

- وما الذي أتى بك إلى وسط البلد اليوم؟

- كنتُ بالحانة..

- حانةُ الفوضى، وهل تحدّثتَ معهم؟

- نعم، لا مفرّ من ذلك..

القهـوة مذاقهـا فـردوسي، أول رشـفة أمسـكتْ بيـدي وألقـتْ بي في بحـرٍ مـن رسـائل الحـب بـين الأطفـال، تتقاذفنـي موجـاتُ العشـق الـبريء، أنـا لا أشرب قهـوةً بـل حيـاة! تنظـر إليّ وتراقبني في صمـت أمٍ تتمنّـى أن ينطـق رضيعُهـا أولى كلماتـه...

- لا يذهـب هنـاك إلّا مـن توسّـدته الوحـدة، أعتقـدُ أنّ مكتبتـي أفضـل مـن الحانـة...

- بالطبع! لا وجه للمقارنة أستاذة رضوى..

هـي الوحيـدةُ التـي إذا طلبـتْ منّـي الحديـثَ عـن أيّ شيءٍ سـأقوله بـدون خـوفٍ، لا أريـد نصائحهـا ولا حتـى إبهارهـا، أرى فيهـا أمّـي، وأنـا مـن سـأبدأ، لـن أنتظـر تلـك المـرّة كـما فعلـتُ مـن قبـل، أنـا مـن سـيفتح بـابَ الحديـث...

- ما رأيكِ أن أُخبركِ بما كتبتُه؟

- هل تكتب؟

- نعـم، لا تسـخري منـي ولكنـي أكتـب كلـماتٍ لا تُعجِـب سـواي...

- لأنّ الكتابـةَ فعـلُ أنـاني وطـارد يفـرض درجـةً مـن العزلـة الدّاخليـة.

- لِمَ؟

- لأنّـه ينفيـك عمّـن حولـك أو ينفـي مـن حولـك ويضعهـم عـلى الـرّف إلى حـين، فعـل ينفـي الآخريـن ليخاطبهـم ويكتـب حكاياتهـم، يقصيهـم ليراهـم أكثـر، يعزلـك ليتيـح لـك تبديـد وجـودك المفـرد وإذابتـه في وجودهـم ومكانهـم وزمانهـم...

- وصفـتِ الكتابـةَ كأنّـكِ تتحدثـين عـن اسـمكِ! أسـتاذة رضـوى إذا كنـتِ تكتبـين مثـلي فـما السـبب؟

- أكتبُ لأنّي أحـب الكتابـةَ، أقصـد أنّنـي أحبهـا بشـكل يجعـل سـؤال «لمـاذا» يبـدو غريبًـا وغـير مفهـوم، الكتابـة تـأتي، تـأتي مـن تلقـاء نفسـها فـلا يتعـيّن عـليّ سـوى أن أقـول مرحبًـا وأفسـح لهـا المكان.

سـؤالي عـن الكتابـة هنـا يبـدو أحمـق لكنّنـي قصـدتُ إذا كانـتْ تكتـب مثـلي مـن بـاب التسـلية والبـوح، الإجابـات تُظهِـر أنّهـا كاتبـةٌ مُحترفـة، الاستفســار عــن مؤلفاتهــا بمثابــة إهانــة، لــذا لــن أفعــل ذلــك، ســأخبرُها بــما كتبــتُ وحــين أعــود إلى منــزلي ســأبحثُ عــن السّــيدة راء وأعــرف عنهــا الكثــير لا شــك.

- كفانا حديثًا عنّي وقُل لي ما حكيته لهم.

- كلّ شيءٍ حكيته لهم؟

- نعـم، وحتّـى أُظهـر لـك مـدى تقبـلي وسـعة صـدري كـي أسـمعك؛ أخـبرني بـما كتبتُـه عـن...

تأهبـتُ لمـا يخـرج مـن بسـتان شـفتيها الآن، وأتمنّـى أن أكـون كتبـتُ عنـه حتـى لا أُحـزن السّـيدة راء.

- العزلة والوحدة والكتاب والقلم.

١

- فوضويتُـكَ وتذبـذبُ أفـكارِكَ ولا مُبالاتُـكَ هُـم السـبب، هـذا فـراقٌ بيننـا...

- لكِ ما يُريده قلبُكِ..

- غامضٌ تقبّلُكَ لقراري! أتعشق الوحدة لهذه الدّرجة؟!

- يـا صغـيرتي؛ سـتشرق الشّـمس كعادتهـا، سأسـخرُ مـن رياء الجرائـد مـع قهـوتي، سـألعنُ ذاكـرتي حتـى تُخـبرني بمـكان سـجائري، لـن يهجـرني الرّفـاق، الكتـبُ باقيـةٌ والموسـيقى لـن تصمـت، ذلـك الفـؤاد لـن يسـكنه ظـلامَ الشِـقاق، حـرةٌ أنـتِ ومتحـررٌ مـن قيـودكِ أنـا، لـن تشـغلني رسـائلَ النّـدم وبُـكاء التسرُّع، سيارة الأجرة في انتظـارك، الـوداع يسـتحقه مـن يحفـظ الوعـد، عـلى ذكـرى صباحاتنـا فقـط السّـلام، وعـلى روحـي الآن حـين ترجـع وحيـدةً كلّ السّـلام.

٢

بقلمـــي ســأُقيم مــن الكلــماتِ جــسرًا بــين عاشــقي الحريــة، وميدانًــا كــي ينشــروا أزهــارَ ثورتِهــم عــلى رؤوسِ المســتضعفين وبســاتين الشُــهداءِ، ومحرقــةً لــكلّ عبــدٍ يأبــى أن تــشرق شــمس عتقــه عــلى أرض خضوعــه.

٣

- حدّثني عن سلاحك؟

- القلم والألم؛ كلاهما ذخيرة بندقية أفكاري.

- والفكرة؟

- سنبلة قمح إبداعي.

- ونهاية رحلتك؟

- خبزُ دربِ الكفاحِ وعطب ثماره.

٤

وقفـتْ أمامـي تعاينُنـي وعانيـتُ أنـا مـن نظراتِهـا، الفصـلُ بأكملـه سـاكنٌ وسَـكَنَ قلمـي شـبحُ الحقيقـةِ الأكـبر مـن عُمـري، طلبـتْ أن نخلـق عنوانًـا لقصـةٍ قصـيرةٍ مـن تأليفهـا، عـن الفُـراق بـين عاشـقين والرّجـل كان يحـب الفتـاةَ أكثـر، لا أعلـم لِمَ كلّ هـذه السـخرية ومـا العيـب في اسـم «وغـرق البحـر».

٥

- أنا وحيدٌ للحدّ الذي جعل السّماء تبكي؛ لعلّ غيثُها يُجبر فتاةً أن تقترب وتحتمي بي.

- آسفة، لم أجد غير مظلّتكَ، أعتذرُ عن سوء تصرّفي.

- إلى أين تنظرين؟ أنا هنا!

- أنا كفيفةٌ، أعتمدُ على الأصوات المُحيطة.

- كفيفةٌ وتجدينني بكلّ تلك السّهولة! نعم أنا وحيدٌ بائسٌ ولكنّي لستُ غبيًا أحمق لا يفهم ألاعيبَ السّرقة!

- أقسمُ لك بمن سلبني نعمةَ البصرِ أنّني لستُ كذلك! أنا أُدرِّس الموسيقى وهذا سبب قوة سمعي، أنا آسفة سأرحل الآن ولن نتقابل مُجدّدًا.

- قبل أن ترحلي؛ ما اسمُكِ؟

- جميلة.

- كمعالم خوفكِ!

- توقفتْ السّماء عن البُكاء.

- فعلتْ ذلك من أجلكِ.

- لِمَ؟

- لأنّها أيقنتْ أنّ هُناك من أتعس منكِ حظًّا.

٦

سأُخبركِ بكلّ خطيئةٍ اقترفتُها، كلّ فتاةٍ كسرتُ قلبها، كلّ يمينٍ حنثته، كلّ يتيمٍ شكرتُ الله على نعمة أبي أمامه، كلّ أرملٍ تغزّلتُ بزوجتي في وجوده، وسأعطيكِ هذه الورقة البيضاء آملًا أن ترسميني كقدّيسٍ؛ ابتسامته تُقنع الملائكة بأنّ خطاياه ستُمحى إن بكى.

٧

- كيف حالُكِ اليوم؟

- أنــا مشوَّشــة، بائســة، وحيــدة، قبيحــة، باكيــة، شــاردة، مُظلِمــة، حزينــة، عاشــقة، ناقمــة، جاحــدة، مكلومــة، مُكبَّلــة، مُقيّــدة، صامتــة، مُـتردّدة، غائبــة، غبيّــة، حمقــاء، كارهــة، حاســدة، فوضويّــة، مُتمــرّدة، ثوريــة، كاذبــة، خائفــة، مُســتقلّة، قارئــة، ولا أطيــق العــالم.

- وأنا أيضًا...

- كلّ ما سبق؟

- نعــم مــع حــذفِ تــاءَ التأنيــث وإضافــة «هــالات عينيــكِ السّــوداء دربي»، قبــل كراهيــة العــالم.

٨

كلّ روائـيٍ يُخفـي سـيرةً ستُدّفن معـه، كلّ شـاعرٍ يحفـظُ قصيـدةً يردّدهـا لجـدران ذاتـه، كُل نحّـاتٍ يدثّـرُ تمثـالًا متعمّـدًا ألّا يعهـد تفاصيلـه أحـدٌ سـواه، كلّ رسّـامٍ يُعلّـقُ لوحـةً في قبـو ذاكرتـه ويتأمّلهـا وقتـما يهاجمـه اللّيـل، كلّ عـازفٍ يأبـى أن تُلّمـح رعشـاتَ أصابعـه حينـما تُداعِـب خفايـا روحـه أنشـودته المُحببـة، إلّا أنـتَ يـا سـاعيَ البريـد؛ وحـدكَ مـن تعـرف كلّ أسرارهـم.

٩

- كفانـا تعلقًـا بعلاقـةٍ بائسـة كالتـي بيننـا، سـأتركُك لوحدتـك وأرحل.

- الوحــدة فقــط؟ ســترحلين وســيبقى رفــاقُ الــدّرب؛ ماركيــز ودوستوفيســكي وهوجــو، ســيعزف لي بيتهوفــن وبــاخ وموتســارت وبرامــز ودونيزيتــي، سيرســمني دافنــشي وأنجلــو وبيكاســو وفريــدة وريڤـيرا، ســينحت حيــاتي دوناتللــو ورودــن ومــور وديجــاس، ســألعب الشــطرنج مــع أينشــتاين وسأشــتري باقــةَ وردٍ لمارلــين مونــرو، ســأراقص غجريــةً عــلى أنغــام «جيتــار» صنعــه أســبانيٌ مجنــونٌ بالموســيقى، فوضــويٌ أنــا لــن تخذلنــي فتــاةٌ تفكــر كثــيرًا بــما ســيحدث غــدًا.

١٠

أهدتنــي جـدّتي كتابًــا عــن الحُــب وزهــرةَ الياســمين، تعجبــتُ مــن فعلهــا، وقبــل أن تتدافعنــي مويجــات الحــيرة، أخبرتنــي وهــي تبتســم: أشــعر بــأنّي ســأفارق دُنياكــم اللّيلــة.

١١

- سأُحبُّكَ حين تأتيني بمعجزةٍ لم يسبقُك إليها عاشقٌ.

- كروايـةٍ بطلتُهـا أنـتِ، حاربـتِ فيهـا ثـراء عالمنـا حتّـى شـبع فقـراء الأرض كلّهـم!

- تفصيلةٌ أُخرى وقد أقبل.

- وتملكـين نصـفَ نصيـب الكـونِ مـن الكُتـبِ والبنـادق ودُمـى الأطفـال والطائـرات الورقية؟

١٢

تأمّـل تلـك الملامـح المُجهـدة وانعكاسـك المُشـتّت عـلى مـرآة العُمـر، ترانيـم الوِحـدة وتراتيـل التيـه نجحـا في رسـم لوحـةَ رحلتِـك بـلا ألـوان، لـن يَجـبر الشِّـعر بخاطـرك، الكُتـب أعلنـت إلحادهـا عـن عقيـدةِ فكـرِك وخطواتـك صُفِـدت، يـا مشـوشَ؛ أنـت الآن وحيـد.

١٣

- أفسدتُ كلّ علاقاتي، لا أحد يطيقني، سجائري صارتْ رفيقةَ مآساتي، أنا بشعة، قبيحة، بائسة، وحيدة، شعري يتساقط، أظافري تمقت النمو حتى لا تراني، زملاء العمل يتهامسون ضحكًا على عشوائية حياتي، لماذا تحبني؟

- لأنكِ كمال نقصان عالمي وألوان تفاصيله

١٤

يــا صغــيرتي، أنــا رجــلٌ عَشِــق فراديــسَ الكُتــبِ وقناديــلَ القلــمِ، فلِــمَ الدّهشــة إذا مــا أحببــتُ بطلــةً نقشــتُ ســطورَ حكايتِهــا في إحــدى روايــاتي؟

١٥

- أكثر من مليون كتابٍ، ماذا بعد؟

- ثورة! سنُشعِل ثورةً!

- بلا أسلحة؟

- بمِداد أفكارنا.

١٦

كتبتُ روايةً عن جمالها الفلسطيني، نظّمتُ شِعرًا قد ينجح في وصف ثورتَها، أخبرني صديقٌ بسحر الورد وبهجة حواء حين تلمحه، وقفتُ أمام مقرِ عملِها مُنتظرًا موعد خروجها، وعندما أشرقتْ شمس ابتسامتها وهي تتحدث مع زميلتها، ركضتُ بعيدًا عنها صارخًا: نسيتُ الورد والرّواية! أيّ فوضويٍ أنا؟ ثم أنّني أجهل كيف تُلقى القصائد على فتاةٍ تعشق القراءة مثلها!

١٧

- ألمحُ طيفَ ذاك العجوز؛ الذي أخبرني بأنّني سأصيرُ يومًا كُلَّ شيءٍ أريده.

- وهل تحقّقت نبوءته؟

- نعم؛ أصبحتُ كاتبًا يصوغ عوالمه، أنا طبيبٌ يعشق مهندسةً، درويشٌ يحب غجريةً، قاتلٌ يحارب العدالة، ثائرٌ يكره الحكومة، مختلٌ يزور قبورَ ضحاياه، فتاةٌ تمقت زوجة أبيها، طفلٌ يعاني من التوحّد، متمردةٌ تُلحِد بتقاليد مجتمعها، وعربيٌ أدرك صلاةَ العصرِ بالمسجد الأقصى.

١٨

ويحدث أن أقف وحيدًا مُتأمّلًا أشباهَ البشرِ؛ من يشاركونني تلك المأساة الحياتية، أشفق عليهم متسائلًا: كيف يعيشون في الأرض فسادًا هكذا ويجهلون مصائرهم؟ قبل أن ألمح أحدهم ينظر إلينا وتعلو شفتيه تلك الابتسامة التي تخبرني أنّه يشفق علينا بالمثِل.

١٩

- لِمَ كلّ هذا العشق للقراءة والكتب؟

- لأنّني وقتها أرى دوستفيسكي وهو يكتب رائعته الأولى «الفقراء»، عادل كامل أثناء ليالي بحثه عن مراجعٍ ليخرج»ملك من شعاع»، تولستوي حين عكف على رسم «آنا كارنينا» وأوقات عصبيته، نجيب سرور عندما بكى بسبب «بمبي» چاهين، هم يعجبهم كلمات الكتب وصفحاتها، وأنا يأسرني تاريخُ وقصصُ من كتبوا بحبر تعبهم وثقتهم فيما سيُنشَر.

٢٠

يقولـون أنّ أجمـل مـا بالفتـاة خجلهـا، لكـنّ جـدّتي أخبرتنـي بأنّ أجمـل مـا بهـا ابتسـامتها إذا عثـرتْ عـلى كتـابٍ أضناهـا البحـث عنـه، وأنـا أُصَـدِّقُ جـدّتي حتّـى ولـو حدثتنـي وهـي نائمـة.

٢١

- صباحات هذا العالم ينقصها شيءٌ ما غير رتابةِ الشّمس، روتينية القهوة، تِكرار وجوه من نحبهم وأولئك الذين لا نطيقهم.

- الرّقص؟

- والكثير من الرّسائل التي لم تُرسَل إلينا حتّى وقتنا هذا.

- كُتُبٌ تحدثنا عن الفوضى؟

- وأفلامٌ تشرح عُزلةَ البطل ولِمَ يواعد فتاةً تكره فكرة الحُرية وتريد منزلها بجانب عائلتها!

٢٢

يـا صغـيرتي؛ أنـا رجـلٌ فوضـوي، مُتمـردٌ، حُـرٌ، عنيـدٌ، غـير مدخّــن، يُدمــن الكُتــبَ والموســيقى والقلــم، لا يكــترث ولــن يهتـم! لـذا يُمكنـكِ الهـرب وقتـما يشـاء ضعفُـكِ، فأنـا قـادرٌ عـلى مواجهــة هــذا العــالم البائــس وحــدي.

قصصتُ عليها كلّ شيءٍ كتبتُه عن الفقر والخبز والجوع والوطن وهي والفوضى والرقص والثورة والأم والأب والكتاب والقراءة والوحدة والبؤس والكراهية والعشق والفُراق والرّصيف والشّارع والفصل، بل وأخبرتها بكلّ توجيهٍ قالوه لي من قبلها، كانتْ تسمع ولا تملّ، تبتسم ولا تقاطعني، تهزّ رأسَها وتتعجّب أحيانًا وتضحك أحيانًا أخرى، تتفاعل مع كلماتي وتحزن تارةً وتصفق بين الفينة والأخرى، السّيدة راء؛ جزاكِ جلّ جلاله عنيّ كلّ الخير.

- أحسنتَ أيها المُخرِّف..

- المُخرِّف!

- نعم، لمحتُ على دفترك كلمة «تخاريف».

- هاهاهاها، أعجبني حقًا هذا اللقب؛ المُخرِّف البائس.

- الكتاب أكثر بؤسًا..

- أنّه مصدر بهجةٍ كيف ذلك؟

- السّؤال هو: كيف يحتمل كتابٌ صغيرٌ أو كبيرٌ آلافَ الجثث، قدرَ الدم، كم الأنقاض والفزع، طفلًا يتيمًا يتعذب؟

ما يأسرني في إجابات رضوى عشقُها لكلّ كلمةٍ تخرج منها، وكأنّها تكتب حروفًا بمفردها لا كلمات، مقولة «حب ما تعمل» أشعر أنّها خُلِقَتْ لأجلها، حين تتحدّث عن

الكتــاب تــشرق شــمسٌ مــن عينيهــا، طلبــتُ منهــا فنجــانَ قهــوةٍ فقالــتْ لي أنّ موعــدَ اللحــاق بحافلتهــا قــد آن، ســألتُها عــن مــكان الكهربــاء حتّــى نغلــق المكتبــة فأشــارت إلى بــاب الخــروج، أغلقتْ البــابَ خلفنــا ثــم قالــتْ بــكلّ هــدوءٍ: فليهــدأ نوركــم يــا قناديــل رحلتــي[1] وغــدًا أنــا قادمــة.

ســقط برقــع الظــلام عــلى وجــه الضّــوء! هــل ألقــتْ تعويــذةً! السّــاعة الآن الثّامنــة مســاءً، سأســتغلّ الدّقائــق المتبقيّــة قبــل أن تهــدم عربــة النقــل العــام جــدار ســعادتي بوجــود السّــيدة راء...

- شــغفُكِ بالكُتــبِ واضــحٌ كالحقيقــة، هــل يمكنــك إخبــاري بــما تشــعرين حــين تقرأيــن؟

- عــادةً مــا أشــعر أنّي خفيفــة قــادرة عــلى أن أطــير وأنــا مســتقرة في مقعــد أقــرأ روايــة ممتعــة. حــين أشــعر بنفــسي ثقيلــة أعــرف أنّي عــلى مشــارف نوبــة جديــدة مــن الاكتئــاب، لذلــك أُسرع إلى كتــابٍ جديــد.

- رائــع، أســتاذة رضــوى قابلــتُ العديــد مــن النّــاس، ولكــن هــذه ســابقة أن أحــب شــخصًا وأتعلــقُ بــه مــن الوهلــة الأولى.

- إنّهــا الأرواح يــا صغــيري؛ تتآلــف أو تتنافــر هكــذا لأســباب لا أحــدٌ منــا يعلمهــا، دقائــق قليلــة وســنكون بميــدان التحريــر، مــن هنــاك ســتصحبني الحافلــة.

كيـف أوقـف الزمـن؟ كلّ النظريـات لا تسـعفني، لحظـة! هـل قـرأتُ كتابًـا عـن العلـم؟ عـن أيّ نظريـات أتحـدّثُ؟ أنـا أقـرأ الأدب فقـط ولأشـخاص بعينهـم ولا يهمنـي دونهـم؟ نعـم أنـا لم أقـرأ إلّا مـا وجدتُـه أمامـي وبعـض نصائـح أبي والمقربـين عـن أفضـل الكتـب، أفضـل الكتـب بالنسـبة لهـم لا أنـا! أضـف إلى ذلـك أنّنـي حتّـى لم أقـرأ كلّ مـا رشّـحه أحدهـم لي، وكنـتُ أكتفي بقـراءة النبـذ واصطنـاع معرفـةَ كلّ الكُتّـاب، بعضهـم قـرأتُ لـه والبعـض الآخـر سـمعتُ عنـه فقـط! هـل سـأنثر وقتـي هبـاءً الآن يمكننـي لـوم نفسـي في وقـتٍ لاحـق، سـأطلب منهـا أن تُرشـح لي العظيـم مـن الكتـب وروائعهـا.

- هـل تمانعـين أسـتاذة رضـوى أن تكتبـي لي في دفـتري قائمـةً بأفضـل الكتـب التـي قـد تفيـد مـن يتوغـل داخـل صفحاتهـا؟

- أنـا؟ أنـت قـارئ نهـم يعـرف الكثـير! يـا لهـا مـن مصادفـة! كنـتُ سـأطلب منـك ذلـك أيضًـا!

- حقًّـا! في الواقـع أنـتِ تملكـين مكتبـةً لذلـك أنـتِ الأجـدر منّـي بهـذا.

- أيّهـا المتواضـع! هـذا مـا تعلّمـه لنـا الكتـب دومًـا، الحكمـة والصـبر والتواضـع، طـوال حيـاتي وأنـا أخـبر النـاس بـما يقـرؤون؛ حـان دوري أن يُرشّـح لي أحدُهـم كتابًـا.

هـذا المـأزق لـن يخرجنـي منـه إلّا الحقيقـة ولا سـواها، مـاذا سـيحدث إذا اعترفـتُ لهـا بعـدد قـراءاتي القليلـة؟ لـن تتّهمنـي بالجهـل ولـن تسـبّني أنـا واثـق، تشـجع أيّهـا الـكاذب القدّيـس...

- لا يمكنني...

- لِمَ؟ أنت حقًّا..

- أعتـذر عـن مقاطعتـك، ولكنّـي لسـتُ كـما تظنـين، نعـم قـرأتُ لبعضهـم ولكـن الأغلبيـة سـمعتُ عنهـم فقـط وأدخلتُهـم في كتابـاتي ليكسـبونها رونقًـا وبريقًـا، لـكِ كلّ الحـقِ في تفجـير مبنـى الانطبـاع الأول عنّـي لـن أحـزن، لأنّنـي أسـتحق مـا هـو أكثـر وأعظـم، لا أدّعـي أنّنـي أديـبُ الألفيـة ولا مسـيحُ الثّقافـة، أنـا شـخصٌ يكتـب الكلـمات بحثًـا عـن مخـرج في نفـق حياتـه، أنـا أخـاف مـن الوحـدة فأحـاول أن أجـد في الكلـمات رفيقًـا يؤانسـني.

لحظـاتُ صمـتٍ تمـر كمثيلاتهـا عـلى يونـس داخـل بطـن حوتـه، تنظـر إلى الأرض وتغطـي وجههـا، ثـم تمسـح عـلى شـعرها وترفـض أن تواجهنـي، رَفَعـتْ رأسَـها إلى السّـماء وأغمضـتْ عينيهـا، أرى حـركات تنفسـها المنتظمـة الرائقـة، هـل تصـلّي أم مـاذا تفعـل؟ أترحـل عقابًـا لي عـلى كذبتـي البيضـاء الحقـيرة؟ بربـكِ لا تبالغـي! مـن سـيتأثر إذا كنـتُ فعـلًا قـرأتُ لهـم أم لا! أسـيتوقف العـالم وتسـكن الموسـيقى وتعتـزل الطّيـور السّـماء

ويزهـد المذنبـون؟ أنـا أبحـث عمّـن يُكمـل لي لوحـاتي الأدبيـة فـلا تتملّـكك القسـوة تجاهـي!

- يحكـي الواحـد منّـا أمـرًا موجعًـا لحجـب الأمـر الأكثـر إيلامًـا.

- لا أفهم...!

- أنـت تتـألّم مـن الوحـدة أكثـر ممّـا عـبّرتَ عنهـا، أنـت تحـارب العـالم بمفـردك وتتخيّـل أنّـه حليفـك، كتاباتـك ليسـتْ متنفسًـا بـل تمـرّدًا وشـكوى وصرخـاتٍ مـن كلّ مـا عانيتـه، أنـا أيضًـا أشـعر بالخـوف، أخـاف مـن المـوت الـذي يتربّـص، ومـا أعنيـه هنـا ليـس فقـط المـوت في نهايـة المطـاف ولكـن أيضًـا المـوت بأقنعتـه العديـدة في الأركان والزّوايـا، في البيـت والشّـارع والمدرسـة، أعنـي الـوأد واغتيـال الإمكانيـة، أنـا امـرأة عربيـة ومواطـن مـن العـالم الثّالـث وتراثـي في الحالتـين تـراث المـوءودة، أعـي هـذه الحقيقـة حتّـى العظـم منّـي، وأخافهـا إلى حـدّ الكتابـة عـن نفسـي وعـن آخريـن أشـعر أنّنـي مثلهـم أو أنّهـم مثـلي.

- أعتقـد... أعتقـد أنّـكِ الآن فهمـتِ مقصـدي، أنـا لا أبحـث عـن مجـدٍ يكتـب اسـمي في صفحـات التّاريـخ، أنـا أريـد أن يقـرأ أحدُهـم مـا كتبـتُ فيعـرف أنّ هنـاك مـن يشـعر بـه ولديـه القـدرة عـلى التعبـير عـن كلّ الطّيـور المحبوسـة داخـل سـجن كينونتـه. أسـتاذة رضـوى؛ أنـا يائـس حـدّ تمزيـق هـذا الدّفـتر وجعـل

غريبٍ يضربني بعصا فأفقد الذّاكرة ولا أقرب القلم ثانيةً.
وبكيتُ..

نعم، بكيتُ لعلّ الدموع تطهّرني من دنس الكذب، أنا أحب الكُتُب ولكن لا أملك كلّ هذا المال لشرائها حتّى ولو كانت رخيصةَ الثمن، أنا أعرف قليل القليل من الكُتَّاب لذلك هي جريمة لا تغتفر، هل أريد حقًّا أن يقرأ أحدُهم ما أكتبه وأنا أجهلُ معاناة كاتبٍ في سهر الليالي كي ينحت ملحمةً تجلسه بين العظماء في أروقة مملكة المجد؟ كم كتابًا قرأتُه؟ مائة؟ ألف؟ هذا لن يشفع ولن يجعل منّي الأديب الذي قد يفكّر في نشر كلماته يومًا ويتسابق عليها القُراء، تقف أمامي سيدةٌ أعلم أنّني إذا سألتُ عنها سيضحك النّاس منّي سخريةً على جهلي، تتفاقم الشكوك الآن بداخلي أنّ كفافي أيضًا كاتبٌ وغسان وأمل ويحيى، كلّهم كانوا يكتبون وأنا لا أُدركُ... أنا!

أنا هذه اللّوحة المعدنية التي تجدها في كلّ شارعٍ تُحذِّر النّاس ولا يكترث لها أحدٌ، أنا هذا الجورب الذي فقد رفيقه فصار نسيًا منسيًا لا يلبسه مالكه، أنا الصفحةُ البيضاء التي تسبق مُقدمةَ الكُتبِ فلا ينظر القارئ لها لعدم جدواها، أنا نشرةُ التعليمات المطوية بداخل كلّ الأدويةِ ولا يهتم بها أغلبهم ولم يفردها أحدهم، أنا القلم الخشبي الأبيض في علبة الألوان

ويكرهـه الأطفـال لأنّـه لا يضيـف جديـدًا، أنـا الطّفـل الـذي يجلـس أمـام صندوقـه الخشـبي يمسـح الأحذيـة ولا ينظـر إليـه زبونـه، أنـا... أنـا لا شيء.

لمّـا غلبنـي البُـكاء وطرحنـي أرضَ الحـزن، اقتربـتْ منّـي وأعطتنـي وردةً حمـراء، ثـم عزفـتْ كلـماتٍ لـن أنسـاها طـوال حيـاتي:

- حـين يـراودني اليـأس أقـول لنفـسي لا يصـحّ ولا يجـوز، إنّنـي مـن حـزب النمـل، مـن حـزب قشّـة الغريـق، أتشـبّث بهـا ولا أفلتهـا أبـدًا مـن يـدي، مـن حـزب الشّـاطرة التـي تغـزل برجـل حمـارة، كلّ أسرتنـا مـن تلـك العائلـة الممتـدّة مـن الشّـغّيلة، والثّوار والحالمـين الذيـن يناطحـون زمانهـم، مـن حـزب العنـاد[1] نمقـت الهزيمـة، لا نقبـل بهـا، فـإن قضت علينـا، نمـوت كالشّـجر واقفين، ننجـز أمريـن كلاهمـا جميـل؛ شرف المحاولـة وخـبرات ثمينـة، تركة نخلفهـا بحـرص إلي القادمـين. هنـاك احتـمال آخـر لتتويـج مسـعانا بغـير الهزيمـة، مـا دمنـا قررنـا أنّنـا لـن نمـوت قبـل أن نحـاول أن نحيـا، لا تبـك يـا ولـدي؛ أمسـى البـكاء مبتـذلًا، ربّـما لأنّ الدّمـوع صـارت تسـتحي مـن نفسـها، أنـت حقًّـا تحمِّـل نفسـك فـوق طاقتهـا، نعـم أنـت مخطـئٌ لأنّـك تكتـب فقـط دون معرفـة مـن سـبقوك؛ وعـدم المعرفـة لا يشـفع في الذّنـب بـل يكرّسـه، لكـن تذكّـر أنّـك تسـتطيع محـو هـذا الذّنـب مـن صحيفـة دربـك.

- أشعر أنّ حكايتي انتهت..

- الحكايات التي تنتهي، لا تنتهي ما دامت قابلة لأن تُروى، ما زالت أمامك الحياة، اقرأ، أُكتب، ارسم، سافر، اكتشف وتوغّل، لا تيأس...

وها هي الحافلة قد أتت، طلبتْ منّي أن أركب معها، صعدتُ خلفها، نتحرك أنا وبصيص أملي، أحاول أن أحدودب عن أرض اليأس، حيَّاها السائق ثم طلب منّي التوقّف:

- هل أخبرتك السّيدة راء بأجرة الرّكوب؟

- لا، ولقد تذكّرتُ يا سيدي أنّني لا أملك أيّ نقود، لذا لن أكمل حديثنا حتّى لا أضيّع وقتك ووقت الرّاكبين.

- ومن الذي قال لك أنّي أريد مالك؟ الأجرة هنا خطبةٌ قصيرة ستلقيها على هؤلاء العظماء، إن استحسنوها فأهلًا بك، وإن لا؛ فسنتحرّك بدونك.

تأمّلتُ وجوههم، أعرف القليل منهم، هذا محمود درويش ونزار قباني وخلفهما غسان! كما قُلتُ إذن! السّيدة راء تتحدث مع حنظلة ناجي العلي، أعهد ملامح نجيب سرور جيدًا وبهاء جاهين بالمثل، هذا العجوز يذكّرني بتولستوي، وذاك بدستوفيسكي، بالطبع نجيب محفوظ يضحك مع عادل كامل، طه حسين يتناقش مع الطّيب صالح، وها هما أمل

ويحيى، كفافي يبتسم بهدوء وأحمد مطر شاردٌ، البقيّة أجهلهم.

وقفتُ أمامهم جميعًا وتنحنحتُ ثلاث، الكلّ ينتظرني وأنتظر أنا الخلاص، فخرجتْ من ظلام خوفي شمسُ كلماتي:

(أنا تلك الرّعشة التي تسبق ثبات أناملِكَ على «البيانو»، أنا نبضُ قلبِكِ حين تلمحين هذا الشّاب ويأسركِ شروده، أنا ابتسامة عجوزٍ أخبرها زوجها بجمالها رغم حُزن العُمر، أنا قلق طفلٍ يُتابع والده درجات امتحاناته، أنا بهجةُ ثائرٍ سمع أن بشائر النصر تلوح للكلّ، أنا خوفُ مُراهقٍ يرسم على جدران منزل حبيبته»النضج أنتِ والعالم هو الطّفل»، أنا ليلُ شاعرٍ تمردتْ قصيدته عليه ولعنتْ بحوره، أنا ضعفُكم، جنونُكم، حيرتُكم، أنا صوتُكم، أنا صوتُكم... أنا صوتُكم...).

السّائق متحمسٌ، جلس وأدار المُحرك منتظرًا آراءهم، لا أحد يُعلِّق، الكلّ يتبادل النظرات فقط، همهماتٌ تسري كقشعريرةٍ بجسدي، إلّا محمود درويش؛ نهض من مقعده وقال: لا شيء يعجبني. ليرّد نجيب محفوظ قائلًا: كلام الأطفال قطعة حلوى وهذا الطفل يبيع حلمه يا درويش.

ضحك عادل كامل مُعلقًا: بعد برهة ستبرز الشّمس مستحيية من عشيقتها الأرض، وسيبرز من هو أعظم لإلقاء الخطب. صرخ أمل فجأةً: لا يا أنت لا! تذكّر! المجد للشّيطان

معبـود الريـاح، مـن قـال لا في وجـه مـن قالـوا نعـم! دافـع عـن حلمـك! طلـب كفـافي منهـم الهـدوء جميعًـا ووضَّـح رأيـه: كمـن هـو عـلى أهبّـة الاسـتعداد مـن قديـم، كشـجاع جـريء، كـما لـو كنـت آهـلًا لهـا حقًّـا، آهـلًا لمدينـة مثـل هـذه، اقـترب بخطـى ثابتـة مـن النافـذة، واسـتمع بحـزن ولكـن بـلا توسّـلات جبنـاء، ولا شـكاوي ذليلـة، اسـتمع حتّـى النّهايـة إلى الأصـداء المبتعـدة، واسـتمتع بهـا، اسـتمتع بالنغـمات الرّائعـة مـن الفُرقـة الخفيـة التـي تمـضي إلى زوال، ودَّعهـا، وودّع هـذه الحافلـة وأذهـب إلى مصـيرك ولا تلتفـت.

الآراء ترتفـع ولا أفهـم شـيئًا، الآراء ترتفـع والعـالم يكـبر جـدًا مـن حـولي، الآراء ترتفـع وصـوت السّـائق وهـو يخـبرني أن أغـادر يرعـد بـأُذني، الآراء ترتفـع والسّـيدة راء تبتسـم، الآراء ترتفـع وبهـاء جاهـين يمسـك بنجيـب سرور قبـل أن يلكمنـي، الآراء ترتفـع وقـدري يُخسـف بـه الأرض، وكان لابـد أن أصرخ بهـم:

- شُـكرًا لكـم، عفـوًا، شُـكرًا لكـم، اسـمعوني، سـأغادر، أعتـذرُ عـن سـوء أدبي قلـمًا وخُلقًـا، أنـا لا أسـتحق أن أركـب معكـم، عليكـم جميعًـا السّـلام.

نزلـتُ مـن الحافلـة، تحرّكـوا بعيـدًا، أراقـب الحافلـة حتّـى اختفـتْ، لا أحـد يعـيرني انتباهـه، كلّهـم يمـرّون وكأنّنـي ورقـة تمـرّدت عـلى فـرع شـجرتها فسـقطتْ، أخرجـتُ ورقـةَ غسّـان

مـن الدفـتر، توجّهـتُ إلى أقـرب صنـدوق قمامـة، مزّقـتُ دفـتري، كـسرتُ قلمـي، أنـا بـريءٌ مـن تخاريفـي، أنـا بـريءٌ من هلوسـتي، فتحـتُ الورقـةَ وأخـذتُ أردّد مـا بداخلهـا:

ولا تمُتْ قبل أن تكون نِدًّا...

ولا تمُتْ قبل أن تكون...

ولا تَمُتْ.

بدأتْ بحمد الله

١٥/ ١/ ٢٠١٧

كلمة الكاتب

أتمنى رحلتك معايا تكون عجبتك، الحقيقة أنا مش هطوِّل عليك، كلّ كلمة قالوها عظماء الأدب بنسبة ٩٠٪ كان كلامهم بجد، وأنا بس دخّلت عليه شوية رتوش من عندي تخدم النص لا أكثر، لو كنت بتبتسم دلوقتي وفرحان فده شيء يسعدني جدًا ويخليني فخور أنّي عرفت أعمل كده.

شُكر خاص

إلى المولى عز وجلّ؛ سبحانك نحمدك على كرم نعمِك.

والـدي/ مُنـير مُصطفـى؛ شُـكرًا عـلى كلّ شيءٍ تعلّمتُـه منـك يـا مـن أتمنّـى أن أصـير مثلـه.

أمّـي/ أُميمـة محمـود؛ جـزاكِ جـلّ جلالـه كلّ الخير يـا طيّبـة الذِكر ورحمـكِ وأدخلـكِ فسـيح جناته.

أختي وزوجها وبنتهما رُفيدة؛ عائلتي الثانية.

رِفـاقُ الـدّربِ؛ أدهـم سـويلم، عُمـر عبـد السـلام، أمـير حسـين، أحمـد إبراهيـم إسـماعيل، محمـد ناجـي عبـد الله، إيهـاب مصطفـى، إبراهيـم أحمـد عيسـى، إسـلام فهمـي، أحمـد سـعد الديـن، محمـد عبـد الله حمـوده، محمـد أحمـد إبراهيـم. أنتـم مـن أختلـس منهـم خبراتهـم لعلهـا تفيـدني.

رفـاقُ العمـل؛ طـارق منتـصر، أندريـه سـيجون، أحمـد الحكيـم، إسـلام محمـد، طـارق الحكيـم، أحمـد عـماد حجـازي، داليـا بهيـج، دينـا كـرم، محمـد كـرم، مريـم رامـي، مـي كـمال، شريـف وهبـي، نيڤـين جنـدي، أحمـد جبيـلي، أحمـد السـيد، أحمـد نظمـي، روابي ياسـين، شـيماء شـاهين، رامـي ورضـا وتامـر ومحـروس وعبـده وعم أسـامة. والـذي نفـسي بيـده تعلمـتُ مـن كلّ شـخصٍ منكـم الكثير.

الأصدقاء؛ سارة أحمد، آية علي، بهاء يوسف، زيزو عمارة، عبد الرحمن أحمد، محمد فتحي مطر، البراء حسن، نور عزام، عبد الرحمن عيد، وسام رسمي، سارة عادل، دينا درويش، مها إبراهيم، سلوى الشريف، سارة طه، ريهام هشام، مروة الجمل، عثمان ونشرته، أيمن سليمان عبد الملاك، مي قوشتي، رحمة باسم، تُقى إسماعيل، كريم محمد علي، أحمد ناصر، نِهاد شيبة، مي السيد وصافي السيد، رحمة محمود السيد، علاء تركي جيكا. وجودكم يُبهج أيّامي فلا تغيبوا عنها.

الأب الروحي محمّد على إبراهيم ومولانا محمد حامد"؛ نصائحكما حتى لحظة كتابة هذا السّطر رسمتْ دربي.

دكتور سمر عبد السلام ودكتور فدوى كمال عبد الرحمن؛ لكما جزيل الشكر على تشجيعكما الدائم..

الكاتب محمد الجيزاوي؛ القلم عرّفني بك وقال لي: هذا الحرّ سيطعم الأجيال القادمة معنى الحُريّة.

الأخ يوسف صقر؛ إيمانُك بي دومًا هو الدّافع، شُكرًا لك على مساندتي وخصوصا بهذا الكتاب.

إلى كلّ من ساندني ونصحني؛

إليكِ يا من عشقتُكِ؛

ولن أنسى يا «وطني».

إصدارات دار برديّة:

١- السّيرة في المنفى - بهاء طاهر.. رواية

٢- حوار مع صديقي المتطرّف -فاطمة ناعوت........................... فكر

٣- أطرق باب السّماء -بوب ديلان وترجمة الحسين خضيري .... شِعر

٤- خطيّة رابضة عند الباب -هدرا جرجس............................ رواية

٥- رسائل ما قبل الآخرة «الجزء الثّاني» -أشرف البولاقي.......... أدب ساخر

٦- أكتب بالدّم الأسود -حسن عامر.................................. شِعر

٧- أرض الموّحدين -عماد الدّين عدوي............................... رواية

٨- لا نصّ يجب أن يكتمل -عبد السّلام الشبلي......................... شِعر

٩ - ياموندا -إسماعيل يبرير.. رواية

١٠- القطب الأعظم -أحمد جمال عيد............................ رحلة صوفيّة

١١- الرّوح الهنديّة - إهيبايسا وترجمة الحسين خضيري................... تحقيق

١٢- حانة الفوضى - مصطفى منير.................................... نصوص

١٣- مصحف أحمر - الغربي عمران.................................... رواية

١٤- حَجر الخِلفة -أسامة حبشي... رواية

١٥- ملاك الفرصة الأخيرة -سعيد نوح............................. رواية

١٦- رحلة إلى اسطنبول -مضر عدس............................. رواية

١٧- الخيط في يدي -فتحي عبد السميع............................. شِعر

١٨- القصر -عبير سمكري............................. رواية

١٩- ما تريد أن تسمعه النّساء –جهاد السيسي.............................قصص

٢٠- استراحة الملائكة –شريف كمال.............................قصص

٢١- نزيف الزنبقة -منى يس............................. رواية

٢٢- الكاريكاتير المصري -عيد عبد الحليم............................. تحقيق

٢٣- ثنائيات ثقافية -عزمي عبد الوهاب............................. تحقيق


الأعمال الكامله
t.me/kotbhm



أنا اللوحةُ المعدنيةُ التي تجدها في كل شارعٍ تُحذِّر الناسَ ولا يكترث لها أحدٌ،

أنا الجوربُ الذي فقدَ رفيقَه فصار نسيًا منسيًا لا يلبسُه مالكه،

أنا الصفحةُ البيضاء التي تسبق مُقدمةَ الكُتبِ فلا ينظر القارىء إليها لعدم جدواها،

أنا نشرةُ التعليمات المطوية بداخل كل الأدويةِ ولا يهتم بها أغلبهم ولم يفردها أحدهم،

أنا القلمُ الخشبي الأبيض في علبةِ الألوان ويكرهه الأطفال لأنه لا يضيف جديدًا،

أنا الطفلُ الذي يجلسُ أمام صندوقِه الخشبي يمسحُ الأحذيةَ ولا ينظر إليه زبونه،

أنا.. أنا لا شيء...

